

الرد على النصارى

لأبى البقاء صالح بن الحسين الجعفرى
المتوفى فى القرن السابع الهجرى

حقيقه وقدم له

الدكتور محمد مسالين

الأستاذ المساعد بجامعة بنى غازى وقطر

طلب من

مكتبة ولية

١٤ شارع الجمهورية - مابدين
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

0124110

الرد على النصارى

لابن البقاء صالح بن الحسين الجعفري

المؤلف في القرن السابع الهجري	المؤسسة العامة للكتاب
رقم الترخيص	297 283
رقم التسجيل	١٨٢٩

حققه وقدم له

الدكتور محمد محمد صاين

الأستاذ المساعد بجامعة بني غازي وقطر

يطلب من
مكتبة وهبة
١٤ شارع الجمهورية - عابدية
القاهرة - تليفون ٣٩١٧٤٧٠

الناشر
مكتبة المدائن
الدوحة - قطر ص.ب. ١٦٨٠
تليفون ٤٢٧٠٨٥

الطبعة الأولى

١٤٠٩ هـ - ١٩٨٨ م

جميع الحقوق محفوظة

دار النور للنشر والتوزيع
للطباعة والبيع
أول طبع ٢٠٠٣ رمضان الموصل بنو عيسى بنو البقاء
ت : ٩٢٥٣٠٤ القاهرة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

نحمد الله تعالى على الفراغ من تحقيق المخطوط المعنوس : الرد على النصارى ، لمؤلفه : « أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفرى » .
والى جانب الجهد الذى بذلناه فى تحقيقه ، فقد قمنا ، اتماما للفائدة ، بالتقديم له بدراسة عن المخطوط ، ومؤلفه ، وعن الجدل الاسلامى المسيحى ، ومناهجه ، وقيمه ومنزلة المؤلف منه .
وقد قمنا كذلك باثبات بعض المراجع التى رجعنا اليها باللغة العربية ، او باللغة الفرنسية اذا كانت لم تترجم الى العربية او كان رجوعنا الى الاصل الفرنسى منها ، كذلك فقد قمنا باثبات جميع النصوص التى ذكرها المؤلف من كتب العهدين القديم والجديد والقرآن الكريم ، ونبهنا الى عدم وجود النص فى الكتب المشار اليها عند عدم العثور عليه ، كذلك فقد اشرنا الى أماكن وجود الأحاديث الواردة فى سياق النص فى كل من صحيح البخارى وصحيح مسلم وغيرهما من كتب الصحاح دون أن نحقق درجة صحة كل حديث لأن ذلك يقتضى تخصصا دقيقا لا ندعيه . ونعتقد بذلك أننا قد أبرزناه فى صورة تسهل على القارئ الاستفادة منه .

نرجو الله أن ينفع به ، وهو ولى التوفيق .

د . محمد محمد حسامين

المخطوط

كان من الطبيعي أن يدفعنا الاهتمام بنشر هذا المخطوط الى البحث بغية الوصول الى معلومات محددة عن مؤلفه وعن المكان أو الأماكن التي يمكن أن تضم نسخا منه .

ولما كان الباحثون المعنيون بموضوع الجدل الاسلامي - المسيحي قد اجمعوا على أن المؤلف قد عاش في القرن السابع الهجري (القرن الثالث عشر الميلادي) ، فقد رجعنا الى الكتاب القيم « كشف الظنون عن اسامي الكتب والفنون » لمؤلفه : حاجي خليفة ، اذ هو أقرب المؤرخين لحركة التأليف عهدها بالحقبة التاريخية التي عاش المؤلف اثناءها عسى أن نجد فيه إشارة عن المؤلف أو صاحبه .

ولقد حالفنا التوفيق عند الرجوع الى هذه الموسوعة القيمة ، فقد ذكر صاحبها ، حاجي خليفة (١) ، اسم المؤلف كاملا ، وهو : أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفرى ، كما ذكر الكتاب تحت عنوان : تخجيل من حرف الانجيل ، لكنه لم يزد على ذلك شيئا ، فهو لم يذكر شيئا عن حياة المؤلف ولا عن خصائص كتابه . ورغم ضالة المعلومات التي أمدنا بها حاجي خليفة عن حياة المؤلف وظروف تأليفه لكتابه فإنه أعطانا اسم المؤلف كاملا وأكد صحة نسبة الكتاب اليه ، وقوى لدينا الأمل في وجود نسخ منه في المكتبات التي تحتفظ بمجموعات كبيرة من المخطوطات .

ثم كانت خطوتنا الثانية هي البحث عن مظان وجوده في المكتبات ، وذلك بالرجوع الى موسوعة أخرى لا تقل قيمة عن موسوعة حاجي خليفة هي : تاريخ الآداب العربية للعالم الألماني بروكلمان ، فوجدناه يذكر وجود نسخ منه في المكتبات الآتية :

(١) المجلد الثاني ، ص ٢٤٩

١ - المتحف البريطاني ، قسم المخطوطات العربية ، تحت رقم :

١٦٦٦١٠ د . د . ١

٢ - مكتبة اياصوفيا تحت رقم ٢٢٤٦ م

٣ - مكتبة رئيس الكتاب باستامبول ، تحت رقم ٦

٤ - مكتبة داماد ابراهيم باستامبول تحت رقم ٤ (٢) .

وقد اكد بروكلمان وجود هذه النسخ بعنوان « تخجيل من حرف الانجيل » منسوبة الى العلامة ابى البقاء صالح بن الحسين الجعفرى .

لكننا لم نكتف باشارة بروكلمان ، واتجهنا الى موسوعة اخرى ، لعالم المانى آخر ، هو العلامة (Graf) ، فى موسوعة : تاريخ الاداب المسيحية العربية ، فوجدناه يؤكد ما ذكره بروكلمان (٣) .

وكانت خطوتنا الاخيرة فى هذا الصدد هى الاتجاه الى قسم المخطوطات العربية بالمكتبة الاهلية ، بباريس ، حيث اطلعنا على فهارس المخطوطات العربية فى المكتبات التى اشار اليها كل من بروكلمان ، وجراف . وعن طريق المكتبة الاهلية بباريس طلبنا نسخا « ميكروفيلم » لهذه المخطوطات الاربعة ، على أمل ان نحصل على نسخ متعددة لمخطوط واحد ، تساعدنا المقابلة بينها على معرفة النسخة « الأم » وعلى ابراز المخطوط فى حالة هى اقرب ما تكون الى الضبط والصحة .

غير ان دهشتنا كانت عظيمة عندما وصلتنا النسخ المصورة « ميكروفيلم » من المخطوطات الاربعة المذكورة ، فقد وجدنا ان اثنين من هذه المخطوطات ليسا سوى جزءين لمخطوط واحد احدهما هو المخطوط الموجود فى مكتبة رئيس الكتاب باستامبول ، ويحتوى على ١٨٤ ورقة والآخر ، وهو الجزء الثانى ، هو الموجود فى مكتبة داماد ابراهيم باستامبول ايضا ، ويحتوى على ١٨٨ ورقة . اما المخطوطان الموجودان فى كل من مكتبة المتحف البريطانى ومكتبة اياصوفيا فليسا

(٢) راجع : Brockelman : Geschicht der arabishen. litterature I, 430. S, I, 766.

(٣) راجع : Graf : Geschicht der Christichen arabishen : litterature II, 389.

سوى ملخصين للمخطوط المذكور ، أولهما يحمل عنوان « الرد على النصارى » والثانى يحمل عنوانين ، أحدهما هو : « الواضح المشهود في فضائح النصارى واليهود » وثانيهما هو : « كتاب العشر المسائل » .
لم نحصل اذن ، وبعد كل هذا المجهود ، الا على نسخة واحدة للمخطوط ، مكونة من جزعين ، وعلى ملخصين له ، هى كل ما احتوته المكتبات المعروفة من نسخ لهذا المخطوط .

● وصف كل من هذه المخطوطات :

١ - يتكون المخطوط الاصلى ، كما قلنا ، من جزعين ، يحتوى أولهما على ١٨٤ ورقة ، ويحتوى الثانى على ١٨٨ ورقة ، وكلاهما مكتوب بالخط الواسطى ، وتشتمل كل صفحة منهما على ١٧ سطرا فى المتوسط ، ويتكون كل سطر من ٧ كلمات تقريبا . والخط الذى نسخ به كلا الجزئين ليس جميلا ، لكنه يقرأ بسهولة ، عدا بعض الكلمات أو العبارات الناقصة . وبهامشه تصحيحات لبعض الكلمات أو الفقرات ، مكتوبة بخط مغاير لكنه واضح ، وهذه النسخة قد كتبت عام ٦٣٢ هـ ، كما هو ثابت فى الصفحة الأخيرة من الجزء الثانى منها ، لكنها لم تكتب بخط المؤلف ، وان كانت قد قرئت عليه ، اذ نجد فى نهايتها هذه العبارة : « قراها المؤلف غفر الله له » فهى تعتبر اذن النسخة « الأم » خصوصا اذا علمنا انها النسخة التى يقول المؤلف فى احد ملخصاته لها : « انها النسخة التى أخذ عنها علماء الفسطاط نسخهم » (٤) .

٢ - مخطوط مكتبة المتحف البريطانى :

هذا المخطوط يحمل ، كما قلنا ، عنوانين أحدهما « كتاب الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود » وثانيهما « كتاب العشر المسائل » .

(٤) الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود ، مخطوط للمؤلف ، ورقة ٣٠ (وجه) .

وهو تلخيص للمخطوط الاصلى الذى فرغنا من وصفه . وهو موجود فى مجلد فخم يضم كتابا آخر ، هو « كتاب الأشربة » لابن قتيبة . والمخطوط الذى يعيننا مكتوب بخط واسطى جميل جدا ، وتحتوى الصحيفة على ١٢ سطرا ، بكل سطر ٥ أو ٦ كلمات . وصفحاته عددها ٢١٤ ، وهى محلاة باطار زخرفى متعدد الالوان . أما حالته فهى جيدة جدا وقل ان تجد به خطأ .

٣ - مخطوط مكتبة مسجد أياصوفيا :

يحمل هذا المخطوط العنوان الآتى : « كتاب الرد على النصارى » فى اطار زخرفى جميل ، وهو كسابقه ، تلخيص للكتاب الاصلى « تخجيل من حرف الانجيل » . وهو مكتوب بالخط الواسطى الجميل ، ويتألف من ١١٤ ورقة ، وعدد أسطر كل صفحة يتراوح ما بين ١١ ، ١٢ سطرا ، ويشتمل السطر على ٦ أو ٧ كلمات . والخطأؤه نادرة ، ومصححة بالهامش بخط يغلب انه خط الناسخ .

وبالعلاج هذا المخطوط سبع مسائل ، مذكورة فى الصفحة المقابلة للعنوان ، ومرتبعة على النحو التالى :

- ١ - المسألة الاولى فى الرد على من زعم ان المسيح ابن الله .
- ٢ - المسألة الثانية فى ابطال الاتحاد .
- ٣ - المسألة الثالثة فى ابطال دعوى القتل .
- ٤ - المسألة الرابعة فى ابطال دعوى الثالوث .
- ٥ - المسألة الخامسة فى تناقض الانجيل .
- ٦ - المسألة السادسة فى اثبات نبوة المسيح عليه السلام .
- ٧ - المسألة السابعة فى اثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ .

وقد عمد الناسخ الى كتابة عنوان كل مسألة فى اطار منفصل بعد فراغه من نسخ موضوع المسألة السابقة ، فجاء هذا المخطوط غاية فى التنسيق مما يساعد القارئ والباحث على الاتجاه راسا الى المسألة

التي يريد الاطلاع على رأى المؤلف فيها دون عناء ، مما لا يتيسر للباحث عند قراءته لكثير من المخطوطات الأخرى .

والمخطوط الذى سنقوم ، بعون الله ، بدراسته والتعليق عليه هو هذا المخطوط الأخير ، المعنون : « كتاب الرد على النصارى » والموجود بمكتبة اياصوفيا تحت رقم ٢٢٤٦ م .

وقد يتساءل القارئ ، وله الحق فى هذا التساؤل : لماذا لم نقم ، كما هو المعتاد ، بتحقيق الكتاب الأصيل « تخجيل من حرف الانجيل » وعمدنا الى تحقيق ملخص له ؟ ونقول اجابة على هذا التساؤل :

اولا - ان الكتاب الاصلى قد حرره المؤلف عندما كان شابا ، كما ذكر هو ذلك صراحة فى معرض تبريره لاجراء ملخص له بعد ذلك (٥) . ومعنى ذلك ان المؤلف ، بعد مرور فترة من تأليفه لم يعد مقتنعا به على الوضع الذى كان عليه فبادر باعادة تحريره ، محتفظا فى النسخة الجديدة بما رآه أساسيا ومفيدا فى موضوعه ، طارحا كل ما رآه غير مفيد ، من حشو يبدو مشتتا للفكر ، ولا يساعد على وضوح الموضوع . وقد اعترف المؤلف نفسه بوجود حشو فى كتابه الاصلى وذلك بطريقة غير مباشرة ، عندما ذكر انه انما حرره فى زمن الشباب ، اى فى زمن اختلاط الفكر وتشويشه وعدم وضوحه .

ثانيا - اننا نقرا فى نهاية الجزء الثانى من المخطوط الاصلى عبارة « مسودة » مكتوبة بخط مغاير لخط الناسخ . ونحن لا ندري ما اذا كانت هذه العبارة قد كتبها المؤلف نفسه بعد تحريره للملخص الذى بين ايدينا ليرفع الثقة عنه ، اى عن المؤلف الاصلى ام انها قد كتبت بخط أحد المطالعين للمخطوط ممن يعرفون وجود ملخص له ، فاعتبر المؤلف الاصلى « مسودة » جمع فيها المؤلف افكاره مشتملة غير محررة ، ثم اعاد تحريرها بوضوح وتلخيص وتركيز بعد ذلك .

(٥) راجع : « الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود ، مخطوط بمكتبة المتحف البريطانى رقم ١٦٦١٦ » ورقة ٣ (وجهه) .

ومهما يكن من أمر ، فقد جرى العرف العلمى بين المحققين للمخطوطات على اعتبار وجود عبارة « مسودة » فى أحدها كافيا للحفاظ وعدم الاقدام على تحقيقه الا عندما يضيع الأمل فى العثور على نسخة أخرى لا تحمل هذه العبارة . ونحن غير مضطرين لذلك ، اذ لدينا ، لحسن الحظ ، مخطوطان آخران كتبهما المؤلف تلخيصا لهذا المؤلف الاصلى مما يضعه ، فوق كونه « مسودة » فى المرتبة الثالثة من حيث الاحقية بالتحقيق .

ثالثا - ان المخطوط الذى بين ايدينا هو آخر مختصر وضعه المؤلف لكتابه الاصلى ، فهو من هذه الناحية يعتبر بمثابة الطبعة الأخيرة ، أو الكلمة الأخيرة له فى الموضوع ، وكونه بهذه الصفة يجعله وحده محل اعتبار الباحثين ، اذ هو - وحده - الذى يعبر ، تاريخيا عن وجهة نظر المؤلف فى الموضوع .

واذا كان جهدنا قد انصرف الى تحقيق هذا المخطوط ، فاننا لن نخفل القيمة والفائدة الكامنتين فى المخطوطين الآخرين ، بل اننا سنرجع اليهما اذا حدث أن توقفنا امام بعض النصوص أو العبارات التى قد تكون غامضة ، أو لمعرفة الأسباب التى حدثت به الى تحرير كتابه ، والظروف التى احاطت بتأليفه . ونعتقد ان فائدتهما من هذه الناحية ستكون كبيرة ، لأن المؤلف لم يترك - على ما يظهر - من اثر ينم عن شخصيته سوى ما ذكره عن نفسه أو كانت له دلالة من عبارات متفرقة فى طيات هذه المخطوطات الثلاثة .



المؤلف

(١) شخصية :

نجد اسم المؤلف مكتوباً بكامله تحت عنوان هذا المخطوط الذى بين أيدينا ، فهو : أبو البقاء صالح بن الحسين الجعفرى .
لكننا نجده مسبقاً باللقاب كثيرة تحت عنوان المخطوط الأسمى ،
اذ نقرا هناك : « الشيخ الفقيه ، والامام الفاضل ، تقى الدين ، صالح
ابن الحسين الجعفرى » .

ورغم ما توحى به هذه الألقاب من أن صاحب الكتاب شخصية
معروفة ومرموقة فاننا لا نجد له ذكراً فى كتب التراجم اللاحقة له ،
ككتاب : الآثار الباقية فى أخبار مصر والقاهرة ، للسيوطى ، أو فى كتب
الجدل الإسلامى - المسيحى المتأخرة ، والتى عنى أصحابها بالرد على
النصارى بنفس الأسلوب الذى اتبعه صالح بن الحسين ككتاب : الجواب
الصحيح لمن بدل دين المسيح ، لابن تيمية ، وكتاب : الأجوبة الفاخرة ،
للقرافى . كذلك فان شخصيته ظلت غامضة بالنسبة لمؤرخى الجدل
الإسلامى - المسيحى من الغربيين ، فقد نشر العالم الألمانى
« ف . ترييبس » (F. Teiebs) مقالاً (١) تعرض فيه لمحتوى مخطوطه
المعنون : كتاب العشر المسائل ولم يذكر شيئاً عن حياة مؤلفه ولا عن
نشاطه العلمى . كذلك فقد نشر « فان دن هام » (Van den Ham)
كتاباً لأبى الفضل المالكى السعودى يرد فيه على النصارى ، لخص فيه كتاب
التخجيل لصالح بن الحسين وذكر اسمه دون أن يذكر شيئاً عن حياته (٢) .
أما جراف (Graf) فقد ذكر أن صالح بن الحسين الف هذا
الكتاب رداً على النصارى الأقباط بمصر لتأليفهم كتاباً ينتقدون فيه المسلمين
بعنوان : الصائح فى جواب النصائح (٣) .

(١) نشر هذا المقال الصغير فى بون عام ١٨٩٧ بعنوان : عشر مسائل
موجهة ضد المسيحيين .

(٢) نشر هذا الكتاب فى بون عام ١٨٧٧

Graf, op. cit., II, p. 389.

(٣)

والها بروكلمان (Brockelleman) فقد اكتفى بقوله عند الحديث عن صالح بن الحسين أنه نبغ عام ٦١٨ هـ .

وإذا كنا لم نعثر فى كتابات المؤلفين المعنيين بالموضوع على شيء ذى بال فيما يتصل بحياة هذا المؤلف العملية ، فإننا نستطيع من خلال كتاباته هو أن نعرف شيئاً عنها .

كان صالح بن الحسين يعيش فى الفسطاط بمصر ، ويختلف الى مجالسها العلمية كواحد من علمائها ، حيث كان الحديث يتناول شتى قضايا العلم المعروفة فى زمنه (القرن السابع الهجرى) ، من تفسير وحديث وفقه وتاريخ وأديان ، بما فى ذلك النصرانية وعقائدها وكتبها وتعاليمها . ويبدو أن المؤلف كان مشهوراً بين العلماء المختلفين الى هذه المجالس بمعرفة عقائد المسيحية هذه ، الأمر الذى حدا بهم الى أن يطلبوا منه كتابة مؤلف يبين فيه خطأ اعتقادات النصارى ، ويدعوهم - عن طريق تدبر كتبهم ذاتها - الى الاعتقاد الحق فى عيسى ورسالته .

يقول المؤلف فى بداية كتابه « تخجيل من حرف الانجيل » :
« حضرت محفلاً تحفل بالعوارف خلفه ... فأذاعوا مزيد الفوائد ...
وأفاضوا فى العلوم الدينية وأضافوا الى ذلك ذكر الامة النصرانية .
فتعجب من حضر ، كيف زلت بهم القدم ، حتى اعتقدوا اتحاد العدم
بالقدم ... وإذا كان النصارى قد اتوا من قبل الالفاظ ، وعدم الحفاظ ،
فتعين على من له درية بهذا الشأن حل اشكالهم ، وفك الشبهات
التي اعانت على ضلالهم . فزعم جماعة انى عارف بكتبهم ، خبير
بمخاريقهم وكذبهم وقالوا : لو ابرزت لما تكون على الحق
علما ؟ .. فأجبتهم لوجوب حقهم ، ورجوت الحيا عند وميض
برقهم » (٤) .

هذا ما ذكره المؤلف عن نفسه ، ولا نعرف عنه شيئاً غيره على

(٤) ورقة ٣ (وجه) وما بعدها .

وجه الدقة . لا نعرف تاريخ ولادته أو وفاته ، غير أنه يمكننا أن نرجح أنه قد ولد في أواخر القرن السادس الهجري ونعتمد في هذا الترجيح على عبارة وردت في أحد كتابيه اللذين اختصر فيهما مؤلفه الكبير الذى تحدثنا عنه . فقد ذكر فى كتاب « الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود » أمر رسالة بعث بها امبراطور الروم عام ٦١٨ هـ الى الملك الكامل ، وأن الملك قد كلفه بالرد عليها ، وأنه فى هذا الوقت كان فى مرحلة النضج من عمره ، بعد أن تجاوز مرحلة الشباب (٥) . ونستنتج من هذه العبارة أن عمره فى ذلك الوقت (عام ٦١٨ هـ) كان قرابة الأربعين إذ أن هذا السن هو بداية سن النضج . وإذا كان عمره عام ٦١٨ هـ يقارب الأربعين فإنه يكون قد ولد فى نهاية القرن السادس الهجرى . كذلك فإننا نستطيع أن نجزم بأنه قد توفى بعد عام ٦٣٢ هـ ، ذلك أن ناسخ مؤلفه الأصلى « تخجيل من حرف الانجيل » قد سجل عليها هذا التاريخ ، وذكر أنه قرأها على المؤلف ، الأمر الذى يعنى أنه ظل على قيد الحياة بعد هذا التاريخ مدة نجهل مقدارها ، ويشاركنا فى هذا الجهل كل من عنوا بالحديث أو النقل عنه .

وإذا كان عدم معرفة تاريخ ولادة العلماء مقبولا ، نظرا لعدم العناية - الا فيما ندر - بتسجيل تاريخ الولادة فى الماضى ، فان عدم معرفة تاريخ وفاتهم يبدو غريبا ، فالآثار العلمية التى يخلفونها ، والتلاميذ الذين يلتفون حولهم وينقلون عنهم ويتعلمون على أيديهم ، وما يتبع ذلك من شهرة فى الوسط الاجتماعى الذى يعيشون فيه ، كل ذلك يجعل من يوم وفاتهم يوما مشهودا ، يسجله المؤرخون ويعيه من يجيء بعدهم . وهذه الظاهرة قد صاحبت معظم علمائنا القدامى ، فمع أنه يندر معرفة تاريخ ميلاد أى منهم ، فإنه يندر أيضا جهل تاريخ وفاته . بيد أن هذه الظاهرة قد تخلفت فيما يتعلق بالمؤلف الذى نحن بصدده ، إذ رغم شهرة مؤلفاته ، وترجمة أجزاء منها الى لغات غير العربية ، واهتمام كثير من الباحثين فى آثار الماضى بالنقل عنه ، كما رأينا ، فإنه ظل مجهولا حتى من هؤلاء الباحثين أنفسهم ، مما يجعلنا نتساءل عن السر فى ذلك .

(٥) ورقة ٢ (ظهر) .

قد يكون موضع السر فى ذلك هو نزوح المؤلف عن مصر فى آخر حياته الى قطر اسلامى آخر وافته به المنية قبل ان يذبح صيته فيه . وقد يكون السر فى ذلك عدم مواتاة الحظ له ، فالشهرة ، فى جانب كبير منها ، ترجع الى الحظ اكثر منها الى اى عامل آخر . وكما استخرج الباحثون من زوايا المكتبات اعمالا قيمة لمؤلفين لم يكن يعرف عنهم احد شيئا .

غير اننا نرجح ان يكون السبب فى عدم شهرته هو عدم نبوغه فى اى علم من العلوم الاسلامية الخالصة ، كالفقه والحديث والتفسير . . . الخ ، فهذه العلوم هى التى كانت تحظى بانتباه المجتمع ، وتشد انتظار المؤرخين الى النابغين فيها . أما النبوغ فى معرفة كتب اهل الكتاب وطرق الرد عليهم فلم تكن - وحدها - كافية ليكتسب صاحبها الشهرة . فالناس ، اقصد معظمهم ، لا يعنيه امر اهل الكتاب فى قليل او كثير . لقد كتب الجاحظ رسالة قيمة فى الرد على النصارى ، لكنها لم تكسبه شهرة او ذيوع صيت ، بل ظلت مهمة حتى حققها فنكل (Fankel) فى مصر ، وانما استمد الجاحظ شهرته من مؤلفاته الاخرى التى كانت تشد انتباه المجتمع كالبيان والتبيين ، والحيوان ، وغيرهما . كذلك فقد كتب امام الحرمين الجوينى كتابه شفاء العليل فى نقد النصرانية ، وظل هذا الكتاب مطمورا حتى حققه الاراد (Allard) اخيرا . وalf الغزالى كتابه « الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل » ، ولكنه ظل هو الآخر مطمورا لم يكسبه شهرة ، لفترة طويلة . فهؤلاء الاعلام من مفكرى العالم الاسلامى لم يكونوا ليعيهم التاريخ لو انهم قصروا مجهوداتهم الفكرية على نقد المسيحية وبيان تداعى الاسس التى قامت عليها . فلما لم يكن لمؤلفنا ، صالح بن الحسين ، اثر فكرى مكتوب فى احد ميادين العلوم الاسلامية الخالصة ، بقى مغمورا لا يعى التاريخ عن حياته الخاصة شيئا .



(ب) سبب تأليف الكتاب :

رغم أن هذا المخطوط هو اختصار لمؤلف آخر أكبر منه فإن صالح بن الحسين لم يعمد الى هذا الاختصار رغبة منه فى الدقة والوضوح والضبط ، كما أسلفنا ، فقط ، بل لقد جدت ظروف اضيفت الى الدواعى السابقة ، فاقتضت جميعها معاودة الهجوم على النصارى ودحض دعاواهم الدينية . وقد أشار المؤلف الى هذه الظروف الجديدة فى بداية المخطوط بقوله : « وقفت على مسائل ذكر أن الفرنج بعثوا يمتحنون بها أهل الاسلام فنظرت فيها ، فاذا هى خالية عن الفوائد الدينية ، عاطلة عن المنافع الدنيوية ، أقرب الأشياء شبها بخرافات النسوان وترهات الولدان ، كسؤالهم عن الماء : هل له طعم أو لون أم لا ؟ وعن السحاب والمطر والثلج ما هو ؟ وعن الأحلام والمنامات : أى شئ تكون ؟ وعن الجنين : هل هو مخلوق من ماء الرجل أم من ماء المرأة ؟ أم من ماعيهما ؟ وما السبب فى أن بعض الحيوانات كثيرة الأولاد دون بعض ؟ مما هو صفر من الفائدة ، خلى من الحكمة » (٦) .

لقد انتهز المؤلف هذه الفرصة فاختصر مؤلفه الكبير الى المؤلف الذى بين أيدينا ، ليكون أكثر وضوحا ودقة من جهة ، وليكون ردا على هذه الأسئلة التى بعث بها النصارى من جهة أخرى ، ومن هنا يأتى سبب تسميته : « الرد على النصارى » .

غير أن الذى يقرأ المخطوط لا يجد فيه ردا على هذه الأسئلة ، بل نقدا لعقائد النصرانية ، فكيف استساغ المؤلف أن يسمى هذا ردا ؟ يبدو أن المؤلف قد شعر بهذا الخلف ، فأجاب عنه بإجابات ثلاث : الأولى هى أن هذه الأسئلة التى بعثوا بها « صفر من الفائدة » وأنه قد تولى الاجابة عنها بطريقة مباشرة « جماعة من ضعفاء طلبية العلم وصغار الفقهاء » (٧) . والثانية هى أن هؤلاء القوم « غلف الألسن ...

(٦) الرد على النصارى ، ورقة ١ (وجه وظهر) .

(٧) الرد على النصارى ، ورقة ٣ (وجه وظهر) .

عمى القلوب «(٨) ، فهم لذلك لا يدركون دقيق الأحكام ، مما يجعل الاشتغال بالرد عليهم مضيعة للوقت والجهد . والدليل على عمى قلوبهم اعتقادهم الهيئة عيسى عليه السلام وما يترتب على ذلك من سائر الاعتقادات الأخرى من المحالات الظاهرة ، فلو كانت لهم عقول تعى لما ذهبوا الى هذا الاعتقاد . فكان المؤلف يتخذ من عرض اعتقاداتهم الباطلة وتفنيدها دليلا على سخف تفكيرهم ، ومن ثم عدم استحقاقهم للرد عليهم عندما بعثوا بأسئلتهم المشار إليها . وقد صرح المؤلف بذلك فقال : « وما أبعد من الحكمة من زعم أن خالقه تعالى أنزل كلمته القديمة الأزلية من مجدها الرفيع الى حضيض الأرض ، فولجت في بطن امرأة من بنى آدم . ثم برزت طفلا ، فالقته على الأرض ، ولفته في الخرق . . . هذا اعتقاد النصارى في الههم ومعبودهم ، وحكاية ذلك كافرة في الرد عليهم »(٩) . والاجابة الثالثة تتمثل في أنه أراد أن يعارض أسئلتهم التافهة ، التي ترك الاجابة عنها لصغار الفقهاء وضعفاء طلبة العلم بأسئلة استخرجها من الأناجيل ، وطالبهم بالرد عليها . وهو يقول في هذا الصدد : « ونحن الآن نلقى عليهم مسائل من أنجيلهم ونطالبهم بالجواب »(١٠) .

ان هذه الطريقة في الحوار ، أعنى توجيه الأسئلة الى الخصم ، بدلا من الاجابة على أسئلته أولا ، غير مقبولة في آداب البحث والمناظرة ، ويسمونها « الغصب » اذ أن متلقى السؤال يغتصب موقف خصمه ، فيقابل السؤال بسؤال ، بدلا من ان يتصدى للاجابة عليه ، فهي تعنى تهرب الخصم من الاجابة . غير أن المجادلين ، وعلى الأخص من يتصدى منهم لنصرة الأديان ، لا يلقون بالا لمثل هذه القواعد ، لأن هدفهم الأول والأخير هو التغلب على الخصم بأى ثمن ، حتى وان كان هذا الثمن هو أن يضربوا بقواعد المناظرة عرض الحائط .

* * *

(٨) الرد على النصارى ، ورقة ٣ (ظهر) .

(٩) الرد على النصارى ، ورقة ٤ (وجه وظهر) .

(١٠) الرد على النصارى ، ورقة ٤ (وجه وظهر) .

(ج) مصادر المؤلف :

يعتمد المؤلف فى رده على النصارى على المعقول والمنقول ، اى انه يخضع عقيدة النصارى لنقد نظرى ، اساسه استحالة القول بالتثليث عقلا ، وآخر نصى ، اساسه دلالة النص الظاهرة على انسانية عيسى عليه السلام وعلى كونه رسولا ، وعلى عدم الهيته . غير انه لا يصدر فى نقده هذا عن مجهوده الخاص وحده ، بل يعتمد مع ما بذله من جهد خاص ، الى كتابات من سبقوه فى هذا الباب ، يستفيد منها ، ويقوى بما يجده فيها حججه ، ليكون مؤلفه غاية فى كمال الرد على النصارى .

لقد طالع المؤلف ، كما ذكر ، كتب العهدين ، القديم والجديد ، التى بايدى النصارى كما طالع كثيرا من مصنفاتهم ، وتآليفهم فى نصره دينهم ، واحتجاجهم لاغاليطهم وما ردت به كل فرقة من فرقهم الثلاث : الملكية ، والنسطورية ، واليعقوبية على الاخرى وما نصرت به مذهبها (١١) .

وطالع ، أخيرا ، عدة ردود للمسلمين عليهم ، ومن ذلك ما كتبه القاضى عبد الجبار المعتزلى والجاحظ من المعتزلة أيضا ، والباقلانى والجوينى من اهل السنة .

فها نحن اولاء نرى ان المؤلف قد جمع من المصادر ما كان يمكن ان يتيسر لمثله مما يجعله عالما بمعظم وجهة نظر كل من الفريقين ، ومواطن الضعف عند الخصم ، والمناهج المختلفة فى الرد عليه ، بغية جعل مؤلفه ، كما قلنا ، جامعا لكل ما يمكن ان يتجه الى النصارى من نقد ، وما عسى ان يكونوا قد استندوا اليه فى نصره دينهم مما يستوجب التفنيد والرد .

والحق ان المؤلف لم يترك عقيدة من عقائد النصارى الاساسية الا ووجه اليها من النقد ما يدل على خبرته وعلى مدى استفادته من كل ما ذكره من مراجع ، الى الحد الذى يمكن معه القول ، دون خوف

(١١) تخجيل من حرف الانجيل ، ورقة ٣ (وجه) .

الوقوع فى محذور المبالغة ، بأن الذين تناولوا هذا الموضوع ، ممن جاء بعده من المجادلين المسلمين لم يضيفوا جديدا الى ما جمعه فى مؤلفه .
والذى يقرأ كتابه الذى بين أيدينا ، ويقارن بينه وبين كتاب « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » الذى كتبه ابن تيمية فى أربعة أجزاء ، يجد انه لا يعدو أن يكون تكررا لما ذكره مؤلفنا قبله بحوالى قرن من الزمان .

وفضيلة أخرى نذكرها لصالح بن الحسين ، هى انه أحد القلائل الذين ذكروا مصادرهم ، واعترفوا باستفادتهم من مؤلفات غيرهم ، ممن سبقوه ومن معاصريه ، وتلك امانة علمية لم يعتد كثير من المؤلفين أن يتحلوا بها ، فكثيرا ما نقرأ آراء لمؤلفين يدعون التفرد بها ، لكننا لا نلبث أن نجدها مذكورة فى مؤلفات من سبقوهم ، وقد خشى بعضهم اكتشاف أمره ، فكانوا يقولون اذا اكتشف أحد معاصريهم أن آراءهم قد سبقهم بها غيرهم : انما هو توارد خواطر . وقديما تعرض الغزالي لمثل هذه الملاحظة ، أو خشى أن يتعرض لها فأبى أن يعترف باستفادته من أحد ، وقال قولته المشهورة : « لا يبعد أن يقع الحافر على الحافر » .

على أن المؤلف ، رغم ما ذكرنا من أمانته العلمية ، لا يذكر مواضع استفادته من كتابات من تقدمه ، ولا يشير الى فقرات بعينها من مؤلفاتهم ، الأمر الذى يجعلنا لا نستطيع أن نحدد بدقة آثار كل من تلك المؤلفات فى تفكيره حول الموضوع .

كذلك فانه عندما يذكر نصا من الكتاب المقدس لا يشير الى النسخة أو النسخ التى استخرج منها هذا النص ، الأمر الذى جعلنا نبذل جهدا مضنيا فى البحث عن مكان هذه النصوص . ويضاف الى هذه الصعوبة صعوبة أخرى ، هى انه كثيرا ما يذكر فقرات الكتاب المقدس مختصرة ، أو يوردها بالمعنى ، وهو أمر يجافى الأمانة العلمية ، فعل ذلك عندما كتب مؤلفه الأصل : « تخجيل من حرف الانجيل » ولم يصحح هذا الخطأ عندما عمد الى اختصاره فى المخطوط الذى بين أيدينا . وقد شعر المؤلف بذلك ، فاعتذر بقوله : « هذا ما جمعناه

من كتبهم ، فمنه ما ذكرناه بنصه ، ومنه ما ذكرناه مختصرا ، لركاكة أسلوبه « (١٢) .

وكمثال على عدم دقة المؤلف في نقل النصوص وتصرفه فيها ، نذكر فقرة استشهد بها على تناقض الانجيل التي بايذى النصارى ، فقد قال : « موضوع آخر (من التناقض) ، ذكر لوقا أن المسيح قال : « انى لم آت لأهلك نفوس الناس ، ولكن لأحيى » ، وبخالفه الآخر فقال : قال المسيح : « انى لم آت لألقى على الأرض سلامة ، ما جئت لألقى سلامة ، لكن سيفا اضرم بها بارا » ، وذلك تناقض عظيم » (١٣) . ففى هذه الفقرة ذكر المؤلف نصين متعارضين نسب الأول منهما الى لوقا . غير اننا لم نعثر على هذا النص فى انجيل لوقا ، وانما عثرنا على فقرة تفيد المعنى الذى ذكره ، ونصها كالاتى : « لا يأتى اللصوص الا لكى يسرقوا ويقتلوا ويهدموا ، اما انا فقد جئت لتكون للخراف الحياة ، ولتكون لهم بوفرة » (١٤) .

اما بالنسبة للنص الثانى ، وهو النص الذى لم يذكر المؤلف مصدره ، فقد وجدناه مذكورا فى انجيلين مختلفين ، مع شئ من التغاير ، فقد وجدنا الفقرة الأولى فى انجيل متى ، ونصها : « لا تعتقدوا انى جئت لألقى على الأرض سلاما ، لم آت لألقى سلاما ، بل سيفا » (١٥) . اما الفقرة الثانية التى تذكر ان عيسى عليه السلام جاء ليضرم النار ، فقد عثرنا عليها فى انجيل لوقا وهى : « انما جئت لألقى على الأرض نارا » (١٦) فقد ذكر المؤلف عبارة « انى لم آت لأهلك نفوس الناس » وهى غير موجودة فى النص الانجيلى ، واستبدل عبارتى

(١٢) تخجيل من حرف الانجيل ، الجزء الثانى ، ورقسة ٩٤ (وجه) .

(١٣) الرد على النصارى ، ورقة ٤١ (ظهر) ، ٤٢ (وجه) .

(١٤) انجيل يوحنا ، اصحاح ١٠ ، عد : ١٠

(١٥) انجيل متى ، اصحاح ١٠ ، عد : ٣٤

(١٦) انجيل لوقا ، اصحاح ١٢ ، عد : ٤٩

« الخراف » و « السلام » بعبارتي « الناس » و « السلامة » ، كذلك فهو قد جمع بين فقرتين من انجيلين فى فقرة واحدة ، وذكرهما فى سياق واحد ، وكل ذلك تصرف منه ، يخل بأمانة النقل ، وان كان لا يخل بالمعنى .

ولنسق مثالا ثانيا لعدم دقة المؤلف ، ننقله مما ذكره فى معرض الاستشهاد على نبوة محمد عليه السلام ، وذكر الفقرات التى تدل على التنبؤ بمجيئه فى كتب العهد القديم . قال المؤلف : « وقال داوود عليه السلام : لترتاح البوادي وقراها ، ولتسر أرض قيذار مرحا ، ولتسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ، ويدفعوا تسابيحهم فى الجزائر قال المؤلف : ليت شعرى ، لمن البوادي غير أمة محمد ﷺ » (١٧) اننا لم نعثر على هذه الفقرة فى مزامير داوود عليه السلام ، وانما عثرنا على فقرة تؤدى معناها فى نبوة اشعيا ، ونصها كالآتى « لترفع البوادي وقراها أصوات الصلاة ، وليسبح سكان أرض قيذار ، ولترفع الأصوات من قلل الجبال بحمد يهوه وليعلنوا مجده فى الجزائر » (١٨) فقد نسب المؤلف هذه الفقرة - خطأ - لداوود ، بينما هى لأشعيا ، عليهما السلام ، وعبر عن كلمة « يهوه » بكلمة « الرب » وتصرف فى النص على النحو الذى نراه ، وهذا كله غير مقبول .

ومما تجدر الإشارة اليه ، بصدد الحديث عن تصرف المؤلف فى النص ، أنه يذكر كثيرا من الفقرات من العهد القديم فى معرض الاستشهاد على دلائل نبوة محمد ﷺ ويثبت فيها لفظ « محمد » ، وهذا اللفظ غير موجود على الإطلاق فى الكتاب المقدس ، فمن ذلك هذه الفقرة التى ادعى أنه عثر عليها فى مزمور من مزامير داوود عليه السلام : « ان ربنا عظيم محمود جدا ، وفى قرية الهنا قدوس ، ومحمد قد عم

(١٧) الرد على النصارى ، ورقة : ١٠ ، (وجه) .

(١٨) نبوة اشعيا ، اصحاح ٤٢ ، عد : ١١ ، ١٢

الأرض كلها فرحا» (١٩) ولعل المؤلف انما عمد الى عبارات الكتاب المقدس التى تؤدى معنى « الحمد » ومشتقاته ، وتصرف فيها على عادته ، لتصير « محمد » .

تلك هي بعض الملاحظات المتعلقة بمصادر المؤلف وبأمانته فى النقل عنها .

وقد استدعانا هذا التصرف من جانبه فى نقله للنصوص الى بذل جهود مضية للعثور على أصول تلك النصوص فى الكتاب المقدس بشرطيه : العهد القديم ، والعهد الجديد ، فأرجعنا ما استطعنا العثور على أصل له فيها الى أصله ، وأثبتنا ذلك بالهامش ، وذكرنا - عند عدم العثور على الأصل - اننا لم نعثر له فيها على أثر .

ويضاف الى هذه الملاحظة ملاحظة اخرى ، ليست أقل من سابقتها خطرا ، هي ارجاع المؤلف للنصوص ، عندما يذكرها ، الى فصول من الكتاب المقدس غير الفصول الموجودة فيها حاليا . وكان هذا مما ضاعف الجهد المبذول فى التحقيق ، اذ كان من المحتم علينا ان نبحث فى طول الكتاب المقدس وعرضه لا عن النص وحده ، بل وعن ملبان وجوده فيه ، وكان هذا العمل اقرب الى تحقيق المستحيل . ولا نبالي اذا قلنا ان البحث عن بعض هذه النصوص ، وتعيين مكانه قد استغرق اياما بأكملها ، ان هذا الجهد يعرفه كل من تصدى او يتصدى بأمانة لتحقيق النصوص القديمة ، خصوصا الدينية منها .

ويمكن القول ان مسؤولية المؤلفين القدامى عن الدقة الكاملة فى ايراد النصوص مسؤولية محدودة ، ذلك ان الزمن الذى كانوا يكتبون فيه مؤلفاتهم يختلف عن زماننا هذا ، والقارىء فى الزمن القديم لم يكن يطالب المؤلف بتلك الدقة التى يطالبهم بها القارىء الحديث فالدقة الكاملة بالنسبة لهم لم تكن فرضا لا محيد عنه ، بل كانت ميزة

(١٩) الرد على النصارى ، ورقة ٩٩ (ظهر) .

يشكر عليها من يلتزمها ، ولا يواخذ من تركها . ولعلنا نلتمس العذر لعدم دقة المؤلفين فى الرد على النصارى اكثر من غيرهم لعدة أسباب ، منها :

أولاً : أن الكتاب المقدس قد كتب بلغات غير العربية وعمدت الكنائس المختلفة الى ترجمته كلياً أو جزئياً ، بتقسيمات تروق لها وبدرجات متفاوتة فى دقة الترجمة ، وكانت اللغة العربية من أحدث اللغات التى ترجم اليها الكتاب المقدس ، بعد أن انتشر الاسلام فى البلاد التى كانت تدين بالمسيحية وأصبحت اللغة العربية هى اللغة السائدة فيها بعد هجر اللغات الأصلية كالبطية ، فى مصر الاسلامية . ومنها :

ثانياً : أن الأهداف والأغراض الشخصية كثيراً ما كانت تتدخل فى ترجمة النصوص الدينية بالذات ، لتعطى للنص المترجم معنى يتفق ومعتقدات الكنيسة التى ينقل النص الى لغتها ، أو لتتحكم فى تقسيم الأسفار أو الاصحاحات بالنسبة للإنجيل الواحد أو النبوة الواحدة ، وقد ترتب على ذلك ، بالطبع ما اشرنا اليه من الصعوبة فى تحقيق النص أو تحديد مكانه . ومنها :

ثالثاً : الخطأ الذى يقع فيه الناسخ سهواً وبدون قصد وهذا أيضاً شائع ومشهور ، ويتسبب بدوره فى اثقال كاهل المحقق والزمام بزيادة الحيلة والانتباه .

وإذا كنا قد ذكرنا بعض الأخطاء التى وقع فيها المؤلف عند نقله للنصوص الدينية من كتب العهدين القديم والحديث ، فإن علينا ، احقاقاً للحق ، أن نذكر ما عمد اليه بعض المجادلين المسيحيين عندما تصدوا للرد على المسلمين ، من « تحريف » متعمد لآيات القرآن الكريم ، مع أنه نص واحد لا خلاف عليه ، لتؤدى المعانى التى يريدونها . ومن ذلك ما لجأ اليه بولس الراهب ، اسقف صيدا ، فى القرن الثالث عشر الميلادى ، من تحريف لبعض آيات القرآن الكريم ، فى الرسالة التى بعث بها الى بعض اصدقائه من المسلمين ، بهدف

جعل القرآن الكريم مساندا لوجهة نظره فى القول بالهية المسيح ،
وبأن الاسلام لم يأت لغير العرب (٢٠) فنحن ننبيه الى خطورة هذا النوع
من الأخطاء المتعمدة ، لأنه يؤدى الى تشويه الحقائق ، ويعمق روح
الجدل ، بدلا من أن يكون طريقا الى الهداية الى الدين القويم .

الجدل الاسلامى / المسيحى ومناهجه

(١) الجدل : نحاول تحت هذا العنوان أن نجيب على السؤال
الآتى : هل يسمح الاسلام بالجدل الدينى ، وخصوصا مع أهل الكتاب ؟
ان موقف القرآن الكريم من هذا الجدل صريح وحاسم ، وهو
المنع ، اذ يقول الله تعالى : « ولا تجادلوا أهل الكتاب الا بالتي هي
أحسن » (٢١) ، ويقول : « ادع الى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة
وجادلهم بالتي هي أحسن » (٢٢) . والطريقة « التي هي أحسن »
مذكورة فى قوله تعالى : « قولوا آمنا بالله وما أنزل إلينا وما أنزل الى
إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وما أوتى موسى وعيسى ،
وما أوتى النبيون من ربهم لا نفرق بين أحد منهم ونحن له مسلمون » (٢٣) .
ولعل موقف الرسول ﷺ فى المباحلة ، وهو بوحى من الله ،
يمثل الموقف الأمثل تجاه أى نداء الى الجدل والخصومة مع أهل الأديان
الأخرى ، اذ عندما قدم وفد نجران ليجادل النبى ﷺ حول حقيقة عيسى
عليه السلام ، وحاول ان يثبت الهيته ، فانه لم يسمح لهم بالجدل حول

(٢٠) قام القسيس بولس خورى (Poul Khoury) بنشر هذه
الرسالة مع ترجمتها الفرنسية ، مسبوقة بدراسة تمهيدية فى منطق
الجدل الاسلامى / المسيحى فى بيروت ، ضمن أبحاث معهد الدراسات
الشرقية ، (بدون تاريخ) .
(٢١) العنكبوت : ٤٦
(٢٢) النحل : ١٢٥
(٢٣) البقرة : ١٣٦

هذا الموضوع ، لظهور وجهة نظر المسلمين فى شأن عيسى عليه السلام ، واكتفى بدعوتهم الى المباهلة ، عملا بقوله تعالى : « فمن حاجك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع ابننا ونساعكم ونساعكم ونفسنا وانفسكم ثم نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » (٢٤) .

والتأمل لطبيعة النفس البشرية يدرك السبب فى تحذير القرآن للمسلمين من الخوض فى المجادلات الدينية ، ذلك ان قضية الايمان هى بطبيعتها قضية شخصية ، والموقف الذى يتخذه اى منا حيال اى معتقد هو موقف روحى نفسى اكثر منه عقلى ، فالذى تروق له - نفسيا - مبادئ دين ايا كان ، او تعجبه عقيدة مهما كانت ، يجد نفسه منقادا الى اعتقادها ، دون حاجة الى سند عقلى صارم ، بل انه يعتنقها حتى وان تعارضت مع مبادئ العقل البسيطة ، والذى لا يجد فى عقيدة ما لا يلائم طبيعته ، فانه لا يستطيع الايمان بها ، وان احاطت به الأدلة العقلية الدامغة من كل جانب ، بل انه يرفضها وان دلت على صحتها المعجزات . ولعل هذا يتوافق مع قوله تعالى : « ولأن آيات الذين أوتوا الكتاب بكل آية ما تبعوا قبلتك ، وما أنت بتابع قبلتهم ، وما بعضهم بتابع قبلة بعض » (٢٥) . ومن اجل هذا وضع القرآن الكريم هذا المبدأ : « لا اكراه فى الدين ، قد تبين الرشد من الغي » (٢٦) ، وفى اطار هذا المبدأ تلقى الرسول ﷺ هذا الأمر الالهى : « فان حاجوك فقل اسلمت وجهى لله ومن اتبعن ، وقل للذين أوتوا الكتاب والامين اسلمتم ، فان اسلموا فقد اهتدوا ، وان تولوا فانما عليك البلاغ ، والله بصير بالعباد » (٢٧) .

ولقد حافظ المسلمون على هذه المبادئ طوال الفترة التى سبقت الفتوح والتى أعقبته مباشرة ، ولكنهم اندفعوا بعد ذلك فى جدال مرير مع اهل الكتاب ، وعلل بعض من تصدى لجدال النصارى النهى عن الجدل مع اهل الكتاب الوارد فى القرآن الكريم بأن النهى لم يتجه الا الى

(٢٥) البقرة : ١٤٥

(٢٧) آل عمران : ٢٠

(٢٤) آل عمران : ٦١

(٢٦) البقرة : ٢٥٦

المسلمين الأوائل ، قبل أن تتسع رقعة الاسلام ويشدد ساعده ،
أما بعد ذلك فقد أصبح الجدل معهم مسموحا به ، بل اعتبره البعض
جهادا فى سبيل الله (٢٨) .

والواقع أن انسياق المسلمين نحو الجدل كان بفعل الظروف ،
فلم يكن أمامهم سوى هذا الطريق ، ذلك أن الرقعة التى انتشر فيها
الاسلام بفعل الفتح كان معظمها مأهولا بأهل الكتاب ، ممن يدينون
بالنصرانية أو اليهودية . وطبيعى أن يحدث احتكاك متعدد الصور
والجوانب بين المسلمين - أهل العقيدة الجديدة - وبين أرباب العقائد
الأخرى ، خصوصا على الجانب الفكرى والعقائدى ، وكان لا بد أن يندفع
كل فريق لينصر عقيدته ويبرز محاسنها ومميزاتها .

هذا من ناحية ، ومن ناحية أخرى فإن الاسلام ما انفك يدعو أهل
الكتاب الى الدخول فى دين الله ، الأمر الذى حتم على من آثر منهم
البقاء على دينه أن يبرر رفضه للدين الجديد . فبعد انتشار الاسلام
وجدت الجماعات غير المسلمة - وخصوصا النصرانية - نفسها أمام خيار
صعب : الاسلام أو دفع الجزية . فالذين فضلوا البقاء على دينهم
ودفع الجزية وجدوا انفسهم من جديد مضطرين للإجابة عن هذا
السؤال : لماذا لم يختاروا الاسلام ؟ فكان عليهم أن يشرحوا موقفهم
ويبرروه ، وكان شرحهم وتبريرهم مشتملا بالضرورة على نقد
للإسلام . يتضح ذلك من عدة مواقف وكتابات لرؤساء النصارى
الدينين ، فقد اضطروا يوحنا الدمشقى - دفاعا عن بقائه على دين
النصرانية - الى توجيه عدة انتقادات الى الاسلام ، أشهرها « أن
المانع له من الدخول فى الاسلام هو أن المسلمين قد قبلوا الاسلام
والقرآن دون شاهد على صحة رسالة محمد » (٢٩) أى دون أن يأتى

(٢٨) هذا هو الرأى الذى يقول به كل من تصدى للرد على
النصارى ، راجع - على سبيل المثال - كتاب الجواب الصحيح لمن بدل
دين المسيح ، لابن تيمية ، الجزء الأول ، ص ٧٨ وما بعدها .
(٢٩) راجع :

Paul Khoury : Gean Damscene et, l. Islam Pecoche - Oeient
Chrétien, tom VII, p. 60 et saiv.

محمد عليه السلام بمعجزة . عند ذلك اضطر المسلمون الى دفع هذه الاتهامات ، فاندفعوا يدرسون الكتاب المقدس ليجدوا فيه ما يمكنهم من أن يكيلوا لخضومهم المصاع صاعين ، وهكذا دارت عجلة الجدل بين المسلمين والنصارى ، ولم تتوقف حتى اليوم ، وتمخض هذا الجدل عن آثار سنتناول بعضها فى نهاية هذه الدراسة .

(ب) منهج الجدل : نرى لزاما علينا ، قبل عرض المنهج الذى سار عليه مؤلفنا فى نقده للمسيحية ، أن ننبه الى عدة نقاط رئيسية ، كانت هى الأسس التى استلهمها المسلمون فى تقديمهم لتلك الديانة بالصورة التى هى عليها ، والى الأطوار التى مرت بها مناهج النقد لها عندهم .

وأول ما نود أن ننبه اليه هو أن نقد المسلمين لهذه الديانة لم يتبع المنهج التاريخى المعروف . فطبقا لهذا المنهج ، يقوم الدارس بتتبع الأطوار التى مرت بها المسيحية ، منذ ظهورها فى فلسطين ، حتى استقرت بشكلها الحالى فى شتى أرجاء العالم ، مروراً بالعصر الرسولى ، ثم قيام الكنيسة كادارة دينية ترعى شئون المؤمنين من الناحية العقائدية ، ثم ظهور المدارس اللاهوتية (الكلامية) واستحكام سلطة آباء الكنيسة ، ثم ظهور المدارس الصوفية والأديرة بأنظمتها المختلفة ، ثم ظهور حركات الاحتجاج الخ . ان مثل هذه الدراسة تقف الدارس على حقيقة هامة هى أن عقائد المسيحية الرئيسية ، كالتثليث والتجسد والخطيئة الأصلية والأسرار ، لم تكن موجودة فى البداية ، عند ظهور عيسى عليه السلام ، وطوال قرن ونصف قرن بعد ان رفعه الله اليه ، وإنما استقرت فى المسيحية ، كعقائد رئيسية ، الواحدة بعد الأخرى ، على يد الرؤساء الدينيين ، وعلى فترات متباعدة ، بحيث يمكن معرفة الظروف والملابسات التى نشأت فيها كل منها ، ووقت ظهورها بكثير من الدقة .

لا مجال فى هذا المنهج التاريخى للجدل ، فالحقائق فيه لا تخضع لوجهات النظر ، لأنها مستمدة من الوثائق التاريخية . لكن المسلمين

لم يستطيعوا أن يتبنوه ، لأنه يتطلب معرفة تامة بالتطور الفكري والدينى فى الجزء الجنوبى الشرقى من قارة أوروبا وفى آسيا الصغرى فى العصر الذى انتقلت فيه النصرانية الى هناك ، وهذا يتطلب بدوره معرفة تامة باللغة اليونانية ، الشئ الذى لم يكن متيسرا لعلماء الكلام المسلمين فى بداية تعرضهم لنقد المسيحية . لذلك اكتفوا ، مضطرين ، ببناء نقدهم على معطيات نصوص الكتاب المقدس وحدها ، وهى غير كافية لقيام نقد موضوعى ، لأنه نقد يقوم على رفض النص ، أو تفسيره ، بناء على مفاهيم اسلامية خالصة فى الحالتين ، والمفاهيم الاسلامية فى القبول والرفض لا تصلح فى مواجهة خصم له معطياته الدينية الخاصة به ، والتى كونها فى جو ثقافى خاص .

وبناء على ذلك ، فان نقد المسلمين للنصرانية ادى الى عدم القدرة على التفاهم مع خصومهم ، لانهم لم يكونوا يتحدثون بلغة واحدة ، وهو شرط أساسى لجعل الحوار أو الجدل مثمرا . ولنوضح الامر : يعتقد المسلمون أن القرآن الكريم الى جانب السنة النبوية الصحيحة هما الأساس الوحيد لعقائد الاسلام الأساسية ، لأن كل ما عداهما فهو شارح لهما أو مستقى منهما بطريقة مباشرة أو غير مباشرة ، فاعتبروا أن الامر كذلك بالنسبة للأديان الأخرى ، وبالنسبة الى ديانات أهل الكتاب على وجه الخصوص ، فنقدوا عقائد أهل الكتاب ، وخصوصا عقائد النصارى ، على أساس أن الكتاب المقدس هو الأصل الوحيد لعقائدها ، وهذا ما لا يعتقده المسيحيون ، فهم يعتقدون أن الكتاب المقدس هو أحد المصادر التى تقوم عليها عقائدهم ، الى جانب آراء آباء الكنيسة وقرارات البابا ، وهى عندهم لا تقل فى صحتها وصلاحيتها كمصدر لاستقاء العقائد الدينية من الكتاب المقدس . انهم يعترفون مثلا بأن عقيدة التثليث لم تتقرر الا فى القرن الرابع الميلادى ، وبناء على قرارات مجمع نيقية (Nicée) لكنهم يعتبرون أن هذه القرارات قد صدرت بمعونة الهية لأعضاء المجمع الذين أقروها ، فهى ، لذلك ، لا تقل فى صحتها ووجوب الايمان بها عما تضمنه الكتاب المقدس من عقائد . كذلك ، فان المسلمين يعتقدون

أن الرسول وحده هو موضع العصمة ، ومصدر ابلاغ العقائد السماوية ، عن طريق الوحي ، فاعتقدوا الأمر كذلك ، أو اعتقدوا أنه لا بد أن يكون كذلك فى المسيحية ، ورفضوا أن يولوا اية أهمية لغير ما يصدر عن عيسى عليه السلام ، وبطريقة مؤكدة ، من عقائد ، بينما الأمر على خلاف ذلك عند النصارى ، انهم يعتقدون وجود ثلاثة أنواع من الاتصال بين الاله والبشر هى : الوحي ، والالهام ، والمعونة ، وأن ما يقرر من عقائد صادرة عن أحد هذه الأنواع له قيمة ما يصدر عن النوعين الآخرين سواء بسواء . وإذا كانوا يتفقون مع المسلمين فى أن الوحي لا يهبط الا على الرسول ، فانهم يختلفون معهم فى أن الالهام والمعونة قد يخص الله بهما من عدا الرسول فيكون كلامهم موضعاً لضرورة التصديق والايمان .

من أجل هذا لم يكن المجادلون – من الفريقين – يتحدثون لغة واحدة كما قلنا ، حتى ينتهى صراعهم الجدلى الى نتيجة حاسمة ، بل استمروا حتى اليوم يتحدث كل فريق منهم لغته الخاصة ، ظاناً انه يقوم بتقويض دعائم اعتقادات خصمه .

ونريد أن ننبه أخيراً الى أن موقف بعض المجادلين المسلمين تجاه نص الكتاب المقدس موقف متحفظ ان لم نقل انه موقف متردد . انهم يقبلون منه ما نص القرآن الكريم على صحته ، بدون نقاش ، ويرفضون منه ما نص القرآن الكريم على تحريفه دون نقاش أيضاً لكنهم يترددون فيما عدا ذلك . وسبب ترددهم ما ورد عن رسول الله ﷺ من قوله : « لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم .. » ، فهم يخشون أن يصدقوهم فيما قد يكون محرفاً فيرتكبون بذلك خطاً دينياً جسيماً ، وهم يخشون كذلك أن يكذبوهم فيما قد يكون صحيحاً فيقعون بذلك تحت طائلة الذنب والعقاب ، وذلك لعدم توفر الوسيلة الناجعة للتمييز بين المحرف وغير المحرف فى الكتاب المقدس . يقول الكرمانى : « لقد أمرنا أن نؤمن بالكتب المنزلة على جميع الأنبياء ، وليس لدينا ما نستطيع به أن نميز الصحيح من الباطل فيما نقله مؤلفوها ، فنحن

لا نصدقهم ، حتى لا نكون شركاءهم فيما حرفوه من هذه الكتب ، ولا نكذبهم ، لا يمكن أن يكون ما نقلوه صحيحا ، فنكون قد انكرنا ما أمرنا بالايمان به « (٣٠) . ولم يسمح المسلمون لأنفسهم بالحكم على ما يحتويه الكتاب المقدس بالصحة أو بعدمها الا فى عصرنا هذا ، وبعد ان اطلعوا على شئ من تاريخ المسيحية ، فقد ذهب المرحوم الشيخ عبد الوهاب النجار ، فى كتابه « قصص الأنبياء » الى جواز النظر فى الكتاب المقدس واستخدام العقل المجرد فى الحكم بصحة بعض أجزائه أو بعدم صحتها ، الأمر الذى جعله يقع تحت طائلة اللوم والتحقيق (٣١) .

أما معظم المجادلين المسلمين فقد اختلف موقفهم ما بين الرفض وعدمه لنص الكتاب المقدس باختلاف موقفهم الجدلى ، وباختلاف المنهج الذى اتبعه كل منهم فى نقده للنصرانية .

فمنهم من اصطنع المنهج التفسيرى ، الذى يقوم على التسليم جدلا بصحة الاناجيل ، ثم البحث فيها عن العبارات التى توهم الهية المسيح ، والتى يتشبث بها النصارى ، وتفسيرها تفسيرا يخرجها عن معناها الحرفى ، ثم مقابلتها بعبارات والفاظ أخرى من هذه الاناجيل ذاتها تدل على انسانية .

ولسهولة هذا المنهج ، فقد استهوى عددا كبيرا من المتكلمين المسلمين ، نذكر منهم على سبيل المثال : القاسم بن ابراهيم ، الشيعى ، اليمى ، المتوفى عام ٢٤٦ هـ ، فى كتابه : « الرد على النصارى » (٣٢) .

(٣٠) البقاعى : الأقوال القديمة فى حكم النقل من الكتب القديمة ، المكتبة الأهلية بالقاهرة ، ورقة ١٨ (وجه) .
(٣١) راجع مقدمة كتابه « قصص الأنبياء » ، ونص المحاكمة التى أجريت له من قبل جماعة من كبار العلماء ، والمنشورة بنصها فى الكتاب المذكور .
(٣٢) نشره : ي . ماتيو (I. Mattéo) عام ١٩٢٢ فى ايطاليا .

ونذكر منهم أيضا الغزالي ، المتوفى عام ٥٠٥ هـ فى كتابه :
« الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل » (٣٣) .

ولما كان التفسير الذى يقوم عليه هذا المنهج امرا « مطاطا »
وشخصيا الى حد بعيد ، فقد عمد الغزالي الى وضع قاعدتين لا ينبغى
للتفسير ان يتعداهما حتى تصدق عليه صفة المنهجية . وهاتان
القاعدتان هما :

١ - أن النصوص موضع التفسير يجب أن تحمل على ظاهرها
وتؤخذ بمعناها الحرفى اذا كان هذا الظاهر لا يصادم العقل . اما
اذا كان ظاهرها مصادما للعقل فانه يجب اللجوء الى تأويلها ، للاقتناع
حينئذ بأن ظاهرها غير مراد (٣٤) .

٢ - أن الدلائل اذا تعارضت ، فدل بعضها على اثبات حكم
وبعضها على نفيه فلا نتركها متعارضة ، الا اذا أحسنا من أنفسنا
العجز ، باستحالة امكان الجمع بينها ، وامتناع جمعها متضافرة ،
مرة واحدة (٣٥) .

وبناء على هذه القاعدة ، التى تبناها من بعده بقية المجادلين
المسلمين المتبعين لنفس المنهج ، يستعرض المجادل الاسلامى ما فى
الانجيل من الفاظ وعبارات دالة على انسانية عيسى ، مثل العبارات
التى تدل على تصرفه الانسانى ، من السعى والاكل والشرب ، والعبارات
التى تصرح بانه انسان ، ويقولون انها هى المرادة للمسيد المسيح وهى الدالة
على حقيقة امره . ثم يتبعون ذلك بالعبارات والألفاظ الموهمة لالهيته مثل
عبارات : « ابن » و « بنوة » و « حلول » و « الأب » و « الأبوة » ،
ويفسرونها تفسيرا مجازيا ، يقولون فيه ان ظاهرها غير مراد ، لأن
العقل يحيل ارادة هذا الظاهر ، لأنها تتعارض مع العبارات والألفاظ
الأخرى الدالة على انسانيته فالمسيحيون مثلا ، يستدلون على الهية المسيح

(٣٣) نشره مع ترجمة فرنسية : روبرت شدياق (Robert Chidiac)
عام ١٩٣٩ فى بيروت .
(٣٤) الرد الجميل : ص ٨
(٣٥) الرد الجميل : ص ٨

بالنص الآتى : « انا والآب واحد » (٣٦) ، ويتشبثون بنص آخر هو : « فى البدء كان الكلمة ، والكلمة كانت مع الله ، والكلمة كانت هى الله . . والكلمة صار جسدا ، وحل فينا ، ورأينا مجده » (٣٧) .

أما المسلمون ، أو هذا الفريق من المجادلين ، فانهم لا يقبلون المعنى الحرفى لمثل هذه النصوص « لأن العقل يحيله » ، ويفسرونها تفسيرا مجازيا . فـ « الكلمة » ، الواردة فى بداية هذا النص الأخير لا تعنى المسيح ، كما يتوهم المسيحيون ، بل تعنى الأمر الالهى المتمثل فى قوله تعالى : « كن » والمعبر عنها فى قوله تعالى : « انها امره اذا اراد شيئا أن يقول له كن فيكون » (٣٨) وعبرة : « والكلمة صار جسدا » ، الواردة فى نفس النص ، لا تعنى « التجسد » الذى يدين به النصارى ، بل تعنى أن أمر الله أى كلمته ، وهى قوله : « كن » قد نتج عنها جسد المسيح ، كما تتكون كل الحوادث عن امره تعالى ، أى كلمته . . . وهكذا .

وهم لا يكتفون بهذا التأويل المجازى الذى دعت اليه ضرورة العقل ، بل يؤكدون دعواهم الأصلية ، وهى انسانية عيسى عليه السلام ، بنصوص أخرى انجيلية ، يدل ظاهر عبارتها على انسانية . فمن ذلك ما هو مذكور فى بداية انجيل متى من قوله : « نسب عيسى المسيح ، ابن داوود ، ابن ابراهيم » (٣٩) .

ذاك هو أحد المناهج التى يتبعها بعض المجادلين المسلمين ، لاثبات انسانية عيسى عليه السلام ، انهم - كما قلنا - يفترضون جدلا صحة النص الانجيلى ، ويحاولون من خلال تفسيره الوصول الى هدفهم .

أما المنهج الثانى فهو يقوم على أساس وضع النص الانجيلى بكامله

(٣٦) انجيل يوحنا ، الاصحاح العاشر ، عد : ٣٠

(٣٧) انجيل يوحنا ، الاصحاح الاول ، عد : ١ - ١٤

(٣٨) يس : ٨٢

(٣٩) انجيل متى ، الاصحاح الاول ، عد : ١

موضح الشك ، وذلك عن طريق التشكيك فى طريقة وصوله الينا ،
أى عن طريق التشكيك فى رواته ، اما لأن عددهم كان فى الطبقة
الأولى قليلا لا يكفى لبناء الثقة فيه ، واما لأنهم لم يكونوا عدولا
يؤمن تواطؤهم على الكذب ، واما للأمريين جميعا ، هذا بالاضافة الى
وجود التناقض بين نصوص الأناجيل ذاتها .

ان هذا المنهج هو منهج المحدثين فى توثيقهم أو تضعيفهم للأحاديث
المروية عن رسول الله ﷺ ، بناء على أساس ارتضوها فى تحديد عدد
الرواة اللازم لكل حديث ، فى كل طبقة ، وفى الصفات التى لا بد
من توافرها فى كل راو من الرواة على حدة . وفارس هذا المضمار
هو ابن حزم الأندلسى المتوفى عام ٤٥٦ هـ ، فى كتابه « الفصل فى الملل
والأهواء والنحل » . لقد نقل هذا المنهج وطبقه على الأناجيل لرفع
الثقة بها . يقول ابن حزم فى هذا الصدد : « فجميع نقل النصارى ،
أوله عن آخره ، حيث كانوا ، فهو راجع الى الثلاثة الذين سمينا فقط ،
وهم : بولس ، ومارقوس ، ولوقا ، وهؤلاء الثلاثة لا ينقلون الا عن
خمسة فقط ، وهم باطرس (بطرس) ، ومتى ، ويوحنا ، ويعقوب ،
ويهوذا ولا مزيد على أن بولس ، وهو أعظم شخصيات الجيل
الثانى ، فهو لم يعيش مع الحواريين الذين راوا عيسى أما الجيل
الأول ، أى الأشخاص الذين كانوا يعيشون فى زمن المسيح ويرونه ،
فهؤلاء لم يكونوا كثيرون العدد فضلا عن ذلك فانهم لم يكونوا
يحيون حياة عادية حتى يؤخذ بشهادتهم » (٤٠) .

فابن حزم يركز هنا على أن عدد رواة الأناجيل – فى الجيلين
الأول والثانى – لم يكن كافيا لوجوب الجزم بصحة ما نقلوه . وهو
يشير الى حقيقة يذكرها مؤرخو المسيحية جميعا ، وهى أن القرنين : الأول
والثانى من حياة المسيحية يمثلان فترة يكتنفها غموض شديد يتعذر معه
الوصول الى حقيقة الاعتقاد الذى ساد أثناءهما فيما يتعلق بشخص المسيح .

(٤٠) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، الجزء الثانى ، ص ٣ ، ٤

ولكن المجادلين المسيحيين قد حاولوا أن يتلافوا نقطة الضعف هذه ، وذلك بالاستعاضة عن كثرة الرواة برفع قيمة العدد القليل الذى روى الأناجيل ، الى الحد الذى لا يتطرق معه شك فى نسبة الصحة الى ما رويوه ، أى أن هؤلاء المجادلين قد واجهوا الكم بالكيف ، فزعموا أن الذين رويوا الأناجيل قد فعلوا الأعاجيب ، وجاءوا بالمعجزات ، وتكلموا بالالسن كلها ، فكيف يتطرق الشك الى ما روى عنهم ؟ يقول بولس الراهب ، فى رسالة يشرح فيها الحال الموجبة للأمم على اختلاف السنتها وتشاسع بلدانها ، الدخول مع اليهود فى دين النصرانية طوعا : « أما بعد ، فانه لما كنا معشر النصارى ، فى الكفر بالله العظيم منهمكين ، وعما يهواه معرضين ٠٠٠٠ فأرسل الحواريين الأطهار الينا منبئين فى الأرض بأسرهم ، صادرين الى شرقها وغربها ، مخاطبين لأسود الخلق وأحمرهم ، يتلون على كل أمة التوراة والانجيل بلسانها ، وهم مع ذلك قليلون » (٤١) . ثم يقول على لسانهم : « قلنا : فكأنكم تفعلون آيات ومعجزات ! قالوا : نعم ، وذلك ليس بقدرتنا ، بل بقدرته الذى أرسلنا » (٤٢) .

لكن ابن حزم يتعقبهم وينفى أنهم جاءوا بالمعجزات فيقول : « ٠٠٠ ولا تمكنوا البتة أن ينقل أحد عن شمعون باطرة (بطرس) ، ولا عن يوحنا ، ولا عن متى ، ولا عن مارقوش (مرقس) ، ولا عن لوقا ، ولا عن بولس آية ظاهرة ، ولا معجزة باهرة ، لما ذكرنا من أنهم كانوا مستترين مختلفين ، مظاهرين بدين اليهود من التزام السبب وغيره ، ٠٠٠٠٠ فكل ما تضيفه النصارى الى هؤلاء من المعجزات ، فأكذوبات موضوعة ، ولا يعجز عن ادعاء مثلها أحد » (٤٣) .

وهكذا يكون قد سلم للمسلمين - طبقا لمنهجهم - ما ادعوه ، من رفع الثقة فى نصوص الأناجيل كلها ، لضعف سلسلة روايتها . ولكى يؤكدوا هذه

(٤١) راجع : Paul d'Antioche , op, cit, p.p. 34, 35.

(٤٢) المرجع السابق ، ص ٤٤

(٤٣) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، الجزء الثانى ، ص ٥

النتيجة ذكروا ما اعتبروه - مترتباً عليها ، ودليلاً عليها فى نفس الوقت ، من تناقض الفاظ هذه الأناجيل ومعناها ، خصوصاً فيما يتعلق بشخص المسيح عليه السلام . ومثال على ذلك نقل ما كتبه شهاب الدين بن ادریس المالکى المعروف بالقرافى فى كتابه : « الأجوبة الفاخرة » (٤٤) . يقول : « ان ابن الانسان لم يأت ليهلك نفوس الناس ، ولكن لينجى . » ، وقال الباكون : « ان ابن الانسان لم يأت ليلقى على الأرض سلاماً ، بل حرباً » ، وهذا كلام تبرأ التلاميذ عنه ، لأن الأول جعله رحمة للعاملين ، والآخرون جعلوه نعمة عليهم » (٤٥) . أما ابن حزم فإنه يقول : « وجملته أمرهم فى المسيح عليه السلام ، أنه مرة - بنص أناجيلهم - ابن الله ، ومرة هو ابن يوسف وابن داوود وابن الانسان ، ومرة هو الله الذى يخلق ويرزق ، ومرة هو خروف الله ، ومرة هو فى الله والله فيه ، ومرة هو فى تلاميذه وتلاميذه فيه ، ومرة هو علم الله وقدرته ، ومرة لا يحكم على أحد كل هذا نص أناجيلهم ، وهم قد اقتصروا فى دينهم من هذا على أنه اله معبود (٤٦) » .

فضعف سلسلة الرواة من جهة ، وتناقض الفاظ الأناجيل من جهة أخرى ، كل ذلك يدعو الى رفع الثقة بالأناجيل كلية ، ويجعل الحكم فى حقيقة عيسى عليه السلام منوطاً بكتاب آخر ، ثبت بطريقة تواتر الكافة ، ولا تناقض بين أجزائه ، وهو القرآن الكريم ، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

أما المنهج الثالث فى نقد المسيحية فهو منهج عقلى خالص ، يقوم على أساس « لا معقولية » عقائد النصارى فى « التجسد » ، و « الصلب والفداء » و « الخطيئة الأصلية » ، و « الألقانيم » ، وقرارات مجمع نيقية المقدس ، الذى تقررت فيه عقيدة التثليث .

(٤٤) مطبوع بهامش كتاب : الفارق بين المخلوق والخالق ، للباحث جى زادة .

(٤٥) الأجوبة الفاخرة ، ص ٣٣ ، ٣٤

(٤٦) الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، الجزء الأول ، ص ٢١٦

ورواد هذا الاتجاه فى نقد المسيحية هم المعتزلة ، فقد كتب
أحدهم ، وهو أبو عيسى الوراق (٤٧) ، رسالة فى نقد المسيحية ،
استعرض فيها آراء الفرق الشرقية الثلاث : اليعقوبية ، والملكانية ،
والنسطورية ، فى الاتحاد . ثم اجتهد فى بيان ما يؤدى اليه كل اعتقاد
منها من المحالات العقلية ، أو النقائص التى لا تليق بذات البارئ
سبحانه وتعالى . فاتحاد كلمة الله بالمسيح وتجسدها فيه يؤدى الى اتحاد
القديم بالمحدث ، وهذا بدوره يؤدى اما الى قدم المحدث أو حدوث
القديم ، وكلا الأمرين محال عقلا . أما على المستوى المحسوس ،
فانه يؤدى الى أن يكون الله تعالى ، قد اكل وشرب ، ولحقته جميع
العوارض البشرية الأخرى ثم حوكم ، ومات مصلوبا ، وكل هذا محال
على الله تعالى .

كذلك فان « الأقانيم » التى يقول بها المسيحيون هى تعبير غامض
غير محدد المعنى فهى تارة صفات ، وتارة ذوات ، وتارة صفات ذاتية ،
والتردد فى معنى مثل هذه الألفاظ يؤدى الى اللبس ، واللبس لا تقوم
عليه عقيدة صحيحة .

والحق أن المسيحيين مختلفون فيما بينهم على تحديد معنى كلمة
« أقنوم » . وقد فسروها بتفسير تنم عن الاضطراب وعدم الفهم ،
حتى ان أحد علمائهم قد ذكر لها أكثر من ثمانية معان ، فهو يقول :
ان من بين المعتنقين لأراء الفرق المسيحية من يذهب الى أن الأقنوم
معناه « الشخص » ، ويذهبون الى القول بأن الأب والابن والروح
القدس هى أشخاص ثلاثة ، لكل شخص طبيعته الخاصة . ومنهم من
يذهب الى أن الأقانيم الثلاثة هى ثلاث خواص متحدة . ومنهم من يرى
أنها صفات ، وآخرون يرون أنها صفات ايجابية ، وفريق خامس يرى
أنها صفات ايجابية جوهرية (Substantiels) ، ويرى غيرهم

(٤٧) قام بنشر هذه الرسالة فى بروكسل ، عام ١٩٤٩ المستشرق
(Abel)

انها هي العقل والعقل والمعقول ، وهناك من يقول انها صفات ايجابية
متميزة لجوهر واحد . ومنهم من يقول انها احوال (Modalités) « (٤٨) » .

يذكر المسلمون هذا الاضطراب ، ويستنتجون منه ، كما اسلفنا ،
ضعف الأساس العقلي الذي بنى عليه المسيحيون اعتقادهم في الأفنوم
والاتحاد والتثليث . وهم لا يكتفون بذلك ، بل ينقدون مصدر قول
المسيحيين بهذه الأقوال المتناقضة ، « الخطيئة الأصلية » اذ لولا خطيئة آدم
لما كان هناك داع - على رأيهم - لاتحاد الاله بالمسيح تكفيرا عن خطايا
البشر .

ورأى المسيحيين يتلخص في أن آدم عليه السلام قد أخطأ في حق
الاله لعصيانه أمره وأكله من الشجرة المحرمة ، لهذا حلت اللعنة عليه
وعلى عقبه من بعده . ولما كان الله تعالى متصفا بصفتين أساسيتين :
هما الرحمة والعدالة ، فقد اقتضت رحمته أن يعفو عن عباده ، لكنه
لما كان عادلا ، فقد اقتضى عدله التكفير عن الذنب . ولما كان آدم
قد أخطأ في حق الاله ، فلا بد ، لكي تتحقق العدالة ، أن يقع التكفير
عن هذه الخطيئة من اله ، فأرسل الله تعالى ابنه ، أي « كلمته » ،
لتتحد بجسد المسيح ، ثم يصلب المسيح ومعه الكلمة ، وبهذا الصلب
تكون كلمة الله قد ماتت ، ولو لبعض الوقت ، فيهذا يقع التكفير من الاله
عن خطيئة ارتكبت في حقه . وهكذا يتحقق الأمران : رحمة الله ،
وعدالته .

تلك هي الخطيئة الأصلية ، وتفسير اتحاد كلمة الله ببدن عيسى ،
وما نشأ عنه من قول بالتثليث .

والمسلمون لا ينازعون في خطيئة آدم ، لكنهم يقولون انها قد
ارتفعت ، بنوبة آدم . ثم انهم ينازعون ميراث الخطيئة ، لقوله تعالى :
« الا تزر وازرة وزر اخرى » (٤٩) كما ينازعون في وجوب التكفير

(٤٨) محيي الدين الأصفهاني : رسالة اصدق الحديث في شرفي
التوحيد والتثليث ، حققها مع ترجمة فرنسية : م . آلارد ، و : ج .
ترويو ، بيروت عام ١٩٦٢ ص ٤ - ١٠
(٤٩) النجم : ٣٨

بموت الاله أو كلمته . يقول القرافى : « ان النصارى يقولون فى « امانتهم » : ان خطيئة آدم عليه السلام عمت جميع اولاده ، وانه لا يطهرهم من خطاياهم الا قتل المسيح عليه السلام . والتوراة والنبوات ترد عليهم ، ففى السفر الأول من التوراة يقول الله تعالى لقابيل : « ان احسنت يقبل منك ، وان لم تحسن فان الخطيئة رابضة ببابك » . وفى بعض النبوات : « لا آخذ الولد بخطيئة الوالد ، ولا الوالد بخطيئة الولد ، طهارة الطاهر تكون له ، وخطيئة المخطىء عليه تكون » ، وهو تصريح بعدم تخطى الخطيئة محلها ، كقبول القرآن الكريم : « ولا تزر وازرة وزر اخرى » (٥٠) .

هذا هو المنطق العقلى الذى نقد المسلمون بمقتضاه عقائد المسيحيين ، وهو منطق جارف يستحيل الوقوف امامه والرد عليه . وقد أحس المجادلون المسيحيون بضعف موقفهم ازاءه ، لذلك آثر بعضهم التقهقر ، وادعى ان عقائدهم تقوم على « الأسرار » كسر التثليث ، وسر التجسد الخ ، وهذه الأسرار لا يستطيع اكتناهاها ومعرفة مضمونها الا الرؤساء « الملهمون » . ومن هنا كان سلطان الكنيسة ، كجهة تستطيع وحدها فهم هذه « الأسرار » ، بناء على ميزات خاصة يتمتع بها « البابا » . ومن هنا ايضا كان موقفها كوسيط بين الله والناس ، ودعوتها أتباعها الى قبول ما تطرحه الكنيسة من عقائد دون مناقشة ، ليظفروا بمكان الى جوار المسيح فى مملكة السموات .

نصل بعد ذلك الى المنهج الرابع والأخير ، وهو ليس منهجا مبتكرا ، وانما هو مجموع المناهج الثلاثة المتقدمة ، وبمقتضاه يخضع المجادل الاسلامى المسيحية لعدد من أوجه النقد ، بعضها قائم على فهم خاص لنصوص الكتاب المقدس ، وبعضها قائم على رفض النص الانجيلى او التشكيك فى صحته ، بناء على ضعف سلسلة روايته ، وتضارب فقراته ، وبعضها قائم على استحالة تصور العقائد المسيحية من الناحية العقلية الخالصة .

(٥٠) الأجوبة الفاخرة : ص ١٥١ ، ١٥٢ - والاية من سورة

الأنعام : ١٦٤

وهذا المنهج متأخر زمنياً عن المناهج الثلاثة السابقة ، ولم يظهر إلا في بداية القرن السابع الهجري ، وكان مؤلفنا صالح بن الحسين الجعفرى من أوائل من استخدموه ، بعد أن توفرت لديهم جمهرة من كتب الرد على النصارى القائمة على مناهج متعددة .

وهناك سبب آخر أدى إلى ظهور هذا المنهج المتعدد الاتجاهات وهو مراوغة خصومهم من النصارى وعدم التزامهم فى الجدل بموقف واحد ، أنك تراهم ، إذا طوردوا على المستوى العقلى الخالص يلجأون إلى النصوص ويحتمون بها فى تبرير عقائدهم ، ويلجأون إلى العقل فى تبرير هذه العقائد إذا طوردوا على المستوى النصى ، لذلك اضطر المجادلون المسلمون ، ابتداء من القرن السابع الهجرى ، أن يتبنوا مناهج كل من سبقهم ، تضيقاً للخناق على خصومهم ، ومحاصرة منهم لهم ، حتى لا يجدون ملجأ يلجأون إليه ، ولا يبقى أمامهم إلا التسليم بوجهة نظر المسلمين .



تحليل النص

يقسم المؤلف كتابه الى سبعة أبواب ، او سبع مسائل ، يعتبر كل مسألة منها بابا مستقلا . وهذه المسائل السبع هي :

- ١ - المسألة الأولى فى الرد على من زعم ان المسيح ابن الله .
- ٢ - المسألة الثانية فى ابطال الاتحاد .
- ٣ - المسألة الثالثة فى ابطال دعوى القتل .
- ٤ - المسألة الرابعة فى ابطال دعوى الثالوث .
- ٥ - المسألة الخامسة فى تناقض الانجيل .
- ٦ - المسألة السادسة فى اثبات نبوة المسيح عليه السلام .
- ٧ - المسألة السابعة فى اثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ .

وستتناول فى الصفحات التالية تحليل هذه المسائل بالترتيب السابق .

المسألة الأولى : أساس هذه المسألة هو قول النصارى ان « المسيح ابن الله » . ولإبطال هذه الدعوى يبدأ المؤلف بتتبع المعانى الممكنة للفظ « البنوة » ، ثم يكر عليهم بإبطال ما لا يصح منها . وهذا المنهج هو منهج السبر والتقسيم ، فى اطار المنهج التفسيري العام الذى تكلمنا عنه .

يقول المؤلف ، موجها كلامه للنصارى : اما أن تعنوا بـ « الابن » جسد المسيح وجثمانه ، أو الكلمة التى تدرعته ، واتحدثت به فى زعمكم ، أو المجموع ، أو مجرد تسمية سماه الله بها ، تشريفا له ، وأظهرا لمزيته ، فهذه أربعة أقسام ، لا يحتمل لفظ البنوة لها خامسا (١) . ثم يكر عليهم بعد ذلك باظهار فساد الاحتمالات الثلاثة الأولى عقلا . ذلك انهم ان ارادوا المعنى الأول ، لزم منه « ان القديم ولد جسدا » (٢)

(١) الرد ، ورقة : ٤ - ٦

(٢) الرد ، ورقة ٦ (وجه) .

وهو محال . وان أرادوا الثانى ، فهو ايضا محال ، لان الكلمة عندهم هى اقنوم العلم ، وهى صفة الأب ، واذا كان العلم صفة نفس له فكيف تتأخر عنه حتى يلدها ، وهو لم يسبقها فى الوجود ؟ (٣) وان أرادوا المعنى الثالث ، فهو محال كذلك ، لانه مركب من القسمين الأولين وهما محالان (٤) . وان أرادوا المعنى الرابع ، أى تشريف الله للمسيح بهذه التسمية ، فان المسيح يتساوى فى هذا التشريف مع سائر عباد الله الصالحين ، ففى التوراة التى يؤمن بها النصارى ، يقول الله لموسى : « اذهب الى فرعون ، وقل له : قال لك الرب : اسرائيل ابنى بكرى ، أرسله يعبدنى ، وان لم ترسل ابنى بكرى قتلت ابنك بكرى » (٥) . وقال الله تعالى فى المزامير لداود : « انت ابنى وأنا ولدتك » ، سلى أعطك » (٦) . ثم يعقب المؤلف على هذا النقل بقوله : « فما نرى السيد المسيح الا منسوجا له على منوال من تقدمه » (٧) .

على أن المؤلف ، كمجادل ، لا يكتفى بذلك ، بل يسرد من عبارات الانجيل ما يناقض هذه التسمية فى رايه ، عندما يصفه « متى » فى فاتحة انجيله بأنه « ابن داود » ، وعندما يبشر الملك مريم بأنها ستلد ابنا ، وعندما كان المسيح نفسه ينهر تلاميذه اذا وصفوه بأنه « ابن الله » . ثم يعقب على هذا كله بقوله : « فقد انقطعت بهم الحجة ، انفصمت عراهم ، وذهبت لفظة « البنوة » من أيديهم . فان كان لولادة المسيح وينوته وجه معقول ، أوجب عندهم أن جعلوه ربا ، وخصصوه بالعبادة ، سوى ما اقتضاه التقسيم فى صدر المسألة ، فليبدوه ، وأنى يجدون الى ذلك سبيلا » (٨) .

-
- (٣) الرد ورقة ٦ (ظهر) .
 (٤) الرد ، ورقة ٦ (ظهر) ، ٧ (وجه) .
 (٥) سفر الخروج ، اصحاح ٤ ، عد : ٢٩
 (٦) مزمور ٢ ، عد : ٧
 (٧) الرد ، ورقة ٩ (ظهر) .
 (٨) الرد ، ورقة ١٤ (ظهر) ، ١٥ (وجه) .

وواضح أن المؤلف هنا يعتمد المنهج التفسيري الذي يفترض ،
جدلا ، صحة الأناجيل ثم يفسرها بالطريقة الواجبة عقلا ، فى نظره ،
مستخدما قاعدة السبر والتقسيم ، كما قلنا .

* * *

المسألة الثانية : يهاجم المؤلف تحت هذا العنوان ، عقيدة «الاتحاد»
أى اتحاد اللاهوت بالناسوت ، مستخدما لأفحام النصارى الوانا
من الحجج ، أولها الاحتكام الى المشاهدة والحس الظاهر ، وهما يدلان
على أن المسيح - طبقا لما يرويه من شاهده - كان شيئا واحدا ،
لا شيئين ، هما : اللاهوت والناسوت . وثانيها الاحتجاج بظاهر
الأناجيل فأقوال المسيح فيه دالة على أنه انسان من بنى آدم ، كقوله
لليهود : « لم تريدون قتلى ، وأنا انسان من بنى آدم ، كلمتكم بالحق
الذى سمعته من الله » ، وقوله أيضا : « للثعالب أجحار ، ولطير
السماء أوكار ، وابن الانسان ليس له موضع يسند رأسه » (٩) .

وهاتان الحجتان نقليتان ، لكن المؤلف لا يكتفى بهما ، بل يؤيدهما
بحجة عقلية تقوم على السبر والتقسيم ، كما فعل فى المسألة
السابقة ، فيقول : « بعد ذلك نقسم القول عليهم ، فنقول : لا يخلو
ما ادعيتموه من اتحاد اللاهوت بالناسوت أن يراد باللاهوت الأب على
تجرده ، أو الكلمة على تجردها ، أو كلاهما ، أو المحبة والموافقة باجابة
الدعوة » (١٠) . ثم يتبع ذلك ببيان وجه الاستحالة فى كل قسم
أما بطلان أن يكون الاتحاد بامتزاج الذاتين حتى صارتا ذاتا واحدة
فلأنه لا مجانسة ولا اشتراك بينهما ، وأما بطلان أن يكون الاتحاد
بالتدرع (١١) فلأنه لا يخلو : أما أن يكون اللاهوت درعا للناسوت ،
أو بالعكس ، والأول محال لأنه يستدعى أن يتشكل القديم بشكل

(٩) الرد ، ورقة ١٥ (ظهر) ، ١٦ (وجه) .

(١٠) الرد ، ورقة ١٦ (وجه وظهر) .

(١١) أى أن كلمة الله قد اتخذت من جسد المسيح درعا لها وحلت

فيه .

الحوادث ، والثاني محال أيضا ، لأن ما قبل الحوادث فهو حادث .
على أن الاتحاد لو كان قد حدث لاستلزم أن يكون المسيح الها عالما
بالغيب ، وهذا ما يكذبه الانجيل ، فقد سئل عن يوم القيامة . وموعد
حلولة ، فقال : « لا أعلم ذلك » ، ولا يعلمها الملائكة الذين في السموات ،
ولا يعلم ذلك سوى الأب وحده » (١٢) . كذلك فلو كان الاتحاد اتحادا
في الصفات ، بأن تكون صفات المسيح متحدة بصفات الله ، فيكون
له مثل علمه وقدرته . . . الخ ، فهذا أيضا فاسد ، « لتعذر مفارقة الصفة
لموصوفها ، ولما حكيناها من أقوال المسيح في القيامة » (١٣) . ثم يسرد
المؤلف عددا كبيرا من نصوص العهدين القديم والجديد ، يرى أنها تؤكد
وجهة نظره .

ومع أن المؤلف قد بالغ في إيراد الحجج العقلية والنقلية ، فقد كان عليه
أن يذكر دعوى كل فرقة من فرق النصراني في الاتحاد ، لأن آراءهم
في ذلك ليست متشابهة ، بل إن تفرقهم إلى ثلاث فرق إنما حدث بسبب
اختلافهم في تصور كيفية الاتحاد . غير أن المؤلف سيذكر هذه الفرق ،
ويحكي آراءهم في الاتحاد ، عند حديثه عن إبطال دعوى القتل
والصلب وهو الذي عقد له الفصل التالي .

* * *

المسألة الثالثة : في هذه المسألة يتعرض المؤلف لإبطال دعوى
النصارى في أن يكون المصلوب هو المسيح عليه السلام وهو في هذا
يستند إلى الآية الكريمة : « وما قتلوه وما صلبوه ولكن شبه لهم ، وإن
الذين اختلفوا فيه لفي شك منه ، ما لهم به من علم إلا اتباع الظن ،
وما قتلوه يقينا . بل رفعه الله إليه ، وكان الله عزيزا حكيما » (١٤) .
والمؤلف هنا يريد إمران :

(١٢) انجيل مرقس ، اصحاح ١٣ ، عد : ٣٢ ، راجع الرد ،
ورقة : ١٩ (وجه) .
(١٣) الرد ، ورقة ٢٠ (وجه) .
(١٤) النساء : ١٥٧ ، ١٥٨

١ - ابطال دعوى النصارى فى صلب المسيح .

٢ - اثبات دعوى المسلمين فى ان المصلوب غيره .

وسيله الى ذلك الاستدلال العقلى والنقل من الأناجيل وهو يبدأ استدلاله العقلى باستعراض آراء فرق النصارى فى الاتحاد أو التجسد ثم يخلص من ذلك الى افتراض تصورين لا ثالث لهما فى الصلب ، وهما : وقوع هذا الصلب على اللاهوت وحده ، أو على الناسوت وحده ، أو عليهما معا وترتيب المحال على أى فرض منها ، لتكون النتيجة هى استحالة صلب المسيح . ذلك انه اذا افترض أن كلا من القتل والصلب قد وقعا على الناسوت وحده ، فان دعوى « افتداء البشرية » يكون باطلا ، لأن هذا الافتداء لا يتصور الا بصلب اللاهوت ، الذى تجسد فى المسيح لهذا الغرض ، وهو ما لم يحدث ، واذا افترض أنهما كانا قد وقعا على اللاهوت وحده ، أو عليه وعلى الناسوت معه ، فان ذلك محال . لاستحالة صلب الاله ، لأنه الموت عدم والله قديم ، « وما ثبت قدمه فقد استحال عدمه » (١٥) .

أما دليله النقلى فهو متعدد الجوانب ، ويعتمد أولا ، على ابطال التواتر اللازم لثبوت الحادثة ، اذ يقول فى هذا الصدد : « لقد نطق كتابكم بأن اليهود خرجوا الى المسيح ليلة الجمعة ... بالسيوف والعصى والمصابيح ، والمسيح اذ ذاك مع تلاميذه فقرعوا الباب ، فخرج اليهم المسيح ، فقال : من تريدون ؟ فقالوا : يسوع ، وانكروا المسيح فلم يعرفوه ، وفعلوا ذلك مرات ، فقال : انا يسوع ، فآخذوه وربطوه ، وهرب أصحابه ، فلم يتبعه الا بطرس من بعيد ، وشاب آخر ... وكان صباح تلك الليلة صلب المأخوذ ، فلم يحضره أحد من أتباع المسيح الا نسوان ييكن ٠٠٠ فأما اليهود الذين شاهدوا القتل والصلب فلم يبلغ عددهم عدد التواتر ٠٠٠ وكل من جاء بعدهم انما نقل عنهم وذلك لا يحصل به العلم » (١٦) .

(١٥) الرد ، ورقة ٢٧ (ظهر) .

(١٦) الرد ، ورقة ٢٨ (وجه وظهر وما بعدها) .

فأحد جوانب هذه الحجة النقلية هو - كما رأينا - الاستدلال بنص الانجيل على عدم بلوغ من شاهدوا واقعة الصلب عدد التواتر الذى يؤمن معه التواطؤ على الكذب . والجانب الآخر هو الاستدلال على أن المأخوذ المصلوب ليس هو المسيح ، بل هو شخصٌ غيره « يشبه المسيح » . ودليله على ذلك هو أنهم سألوا عندما طرَقوا الباب عن المسيح ولو كانوا يعرفونه لما سألوا ، وإن المسئول قال لهم : أنا المسيح ، ليفتدى المسيح بنفسه ، بعد أن تغير شكله فأصبح يشبه المسيح . ويؤكد المؤلف هذا النص بنصوص أخرى انتقاها من الأناجيل نذكر منها هذا النص المأخوذ من انجيل متى ، والذى فيه يسأل رئيس الكهنة المقبوض عليه ويدور بينهما الحوار الآتى : « أما قلت لنا ان كنت المسيح ، ابن الله الحى ؟ فقال له : أنت قلت » (١٧) . ويعقب المؤلف على هذا الحوار بقوله : « ان المقبوض عليه قال : أنت قلت ، ولم يقل : أنا المسيح » (١٨) . ثم يزيد هذه الحجة تأكيدا بنص آخر يدل على تحول شكل عيسى عليه السلام ورفعته الى السماء ، كما ورد فى القرآن الكريم . يقول هذا النص : « صعد يسوع الى جبل الجليل ، ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا ، فبينما هو يصلى اذ تغير منظر وجهه وابيضت ثيابه ، فصارت تلمع كالبرق . ونظروا موسى ابن عمران ، والياس ، قد ظهرا لهم وجاءت سحابة فاظلمتهم ، فأما الذين معه ، فوقع عليهم النوم ، فناموا » (١٨) . فهذا النص فى نظر المؤلف « دليل على رفع المسيح وحمايته من أعدائه اليهود خذلهم الله تعالى » (١٩) ، وبذلك يكون قد تم له ما أراد .



المسألة الرابعة : يخصص المؤلف هذا الفصل « لابطال دعوى الثالوث » . وهو لا يطيل الجدل حول هذه المسألة ، اعتمادا منه - على ما يبدو - على الحجج التى أوردها لابطال الاتحاد اذ هى فى

(١٧) انجيل متى ، اصحاح ٢٦ ، عد : ٦٣ ، ٦٤

(١٨) الرد ، ورقة ٣٠ (ظهر) .

(١٩) الرد ، ورقة ٣٠ (ظهر) .

الواقع تعتبر حججا على ابطال التثليث فى نفس الوقت . غير انه هنا يركز على امر واحد ، هو ان دعوى التثليث هى دعوى بلا دليل . انها - فى رايه - تركز على حصر الاقانيم فى ثلاثة ، هى : اقنوم الوجود ، واقنوم الحياة ، واقنوم العلم « ، وهذا الحصر تحكم لا سند له من العقل ، « اذ يقال لهم : ما دليلكم على حصر الاقانيم فى ثلاثة ؟ وبم تنكرون على من يرى انها اربعة ، فيصير التثليث تريبا « ؟ (٢٠) .

ان النصارى لا يجيبون على هذا السؤال ، ولكن المؤلف يفترض ان لهم اجابات يذكرها ثم يتعقبهم فيها ، ليبيطلها .



المسألة الخامسة : تحت هذا العنوان يحاول المؤلف « بيان تناقض الانجيل الذى بايدى النصارى يومنا هذا » (٢١) . وهو هنا يقابل بين نصوص الاناجيل الاربعة المعروفة ، من اولها الى آخرها مظهرا ما بينها من تناقض ، اما فى الحوادث بان تذكرها بعض الاناجيل دون بعض او تذكرها جميع الاناجيل ، لكنها تختلف فيما بينها ، من حيث طريقة روايتها ، او من حيث الالفاظ التى رويت بها . ويخلص من هذا كله الى الحكم بعدم الوثوق بها ، والتشكيك فى صحتها ، ومن ثم ، عدم الاعتماد عليها فى استنباط العقائد . ولعل النص التالى يوضح وجهة نظر المؤلف ومنهجه فى بيان هذا التناقض : « قال يوحنا الانجيلي : ان يوحنا المعمدانى حين رأى المسيح قال : هذا خروف الله الذى يحمل خطايا العالم ، وهو الذى قلت لكم انه يأتى بعدى ، وهو اقوى منى ، وأن بيده الرفس ، ينقى بببدره جميع الحنطة ، ويجمعها الى اجرانها ويحرق الأتبان بالنار التى لا تطفأ » (٢٢) ، وخالفه متى ، فقال : « ان المعمدانى ارسل ، وهو فى السجن ، الى

(٢٠) الرد ، ورقة ٣٥ (ظهر) .

(٢١) الرد ، ورقة ٣٩ (وجه) .

(٢٢) انجيل يوحنا ، اصحاح ١ ، عد : ٢٩ ، الرد ، ورقة ٤٠ .

(ظهر) .

المسيح فقال : « انت الآتى أو ننتظر غيرك » ؟ (٢٣) . ثم يعقب المؤلف على ذلك بقوله : « وذلك تناقض ظاهر ، لأن احدهما حكى عن المعمدانى أنه هو ولم يتردد ، وإن الآخر حكى أنه شك فيه ، ولم يعرفه حتى أرسل فسأله . وأما مرقص فاغفل ذلك ولم يذكره . وإذا أغفله فما يؤمن أن يكون قد اغفل ما هو أهم منه فكيف يكون ذلك من الانجيل ولا يذكره ؟ وإن لم يصح عند مرقص فذلك طعن على من نقله » (٢٤) .

ذاك هو منهج المؤلف فى اسقاط الثقة عن الأناجيل ، عن طريق اظهار التعارض فيما بينها ، وقد بينا موقف كل من الفريقين فى مدى صحة النص المقدس .

المسألة السادسة : بعد ان هدم المؤلف عقيدة التثليث والهيئة المسيح ، حاول فى هذا الفصل ان يثبت أن عيسى عليه السلام نبى كبقية الأنبياء ، طبقا لما جاء فى القرآن الكريم : « ما المسيح ابن مريم الا رسول قد خلت من قبله الرسل » (٢٥) . وخصوص المؤلف فى هذا الفصل ليسوا النصرارى فقط بل هم واليهود ايضا ، ذلك انه اذا كان النصرارى يدعون الهيئة المسيح ، فان اليهود يدعون انه مولود من سفاح ، ويرفضون ما جاء به من معجزات ، زاعمين انه لم يحيى ميتا قط ، وانما تواطأ مع نفر من أتباعه ، فتمارضوا ، ثم طلبوا منه أمام الجماهير أن يشفيهم ، ففعل ، فقاموا معافين ، أو أنه كانت له دراية فائقة بالطب ، فاستخدم درايته فى علاجهم من أمراضهم ، فخيّل للناس أن ما كان يفعله هو ضرب من المعجزات » (٢٦) .

وقد رد المؤلف على ادعاءات اليهود هذه بأن عيسى قد نسبت اليه

(٢٣) انجيل متى ، اصحاح ١١ ، عد : ٣ ، الرد ، ورقة ٤٠ (ظهر) .

(٢٤) الرد ، ورقة ٤١ (وجه) .

(٢٥) المائدة : ٧٥

(٢٦) الرد ، ورقة ٤٨ (وجه وظهر) .

معجزات ، مثل ما نسبت المعجزات الى موسى ، فان رفضوا معجزات عيسى ، رفضنا معجزات موسى ، لأن طريق ثبوتها واحد ، وهو النقل عن القدامى . يقول المؤلف فى هذا الصدد : « واذا نحن اثبتنا معجزاته وآياته فكل ما ابدوه من القوادح فى طريق ثبوتها انعكس مثله عليهم فى اثبات نبوة موسى عليه السلام ، وكل سؤال انعكس على مورده فهو باطل من اصله » (٢٧) .

هذا هو موقف المؤلف بالنسبة لمن ينكر نبوة عيسى عليه السلام من اليهود . اما موقفه ازاء النصارى الذين يدعون الهيته فهو يقوم على أساس تحقيقه للمعجزات . بيد ان النصارى يستنتجون من تحقيقه لهذه المعجزات انه اله . وهذا ما يسميه المسلمون بـ « مشترك الالزام » لأن المسلمين يستدلون بالمعجزات على رسالته بينما يستدل بها النصارى على الهيته ولكل وجهة هو موليها . ووجه استدلال المسلمين بالمعجزات التى حققها على نبوته انهم يقولون : لقد ادعى الانبياء السابقون لعيسى عليه السلام النبوة ، واستدلوا على صدق دعواهم بالمعجزة ، وقد فعل عيسى ما فعلوه فهو نبي مثلهم .

لكن المؤلف يضيف الى هذا الدليل العام ادلة خاصة هى شهادته عليه السلام لنفسه بالنبوة ، وشهادة الحوارين وشهادة مواطنيه له بذلك ، من خلال نصوص الأناجيل نفسها ، الأمر الذى يستحيل معه ان يكون الها ، او على الأقل ، ان تدل الأناجيل التى بأيدى النصارى على الهيته .

والشهادات التى يوردها المؤلف من الأناجيل كثيرة وهى لا تترك مجالا للشك فى نبوته ، مما جعله يعقب على ايرادها وشرحها فى نهاية هذا الفصل بقوله : « وينبغى أن نسأل النصارى عن هذه الفصول التى تلونها عليهم فى انجيلهم ، فيقال لهم : احق ذلك أم باطل ؟ فان اعترفوا انها حق ، تركوا التنصر ، وان زعموا انها باطل ، كفروا

(٢٧) الرد ، ورقة ٤٨ (ظهر) وما بعدها .

بالانجيل ، وتركوا دين النصرانية ، فهم كيفما ارادوا ، فارقوا ما هم عليه
لا محالة « (٢٨) .

المسألة السابعة : لما كان غرض المجادلين المسلمين من جدلهم مع
أهل الكتاب هو دعوتهم الى الدخول فى الاسلام ، فقد كان موقفهم
ازاء النصارى ذا شقين : الأول هو محاولة البرهنة على انسانية
عيسى عليه السلام كما أوضحنا ، والثانى هو اثبات رسالة سيدنا
محمد عليه الصلاة والسلام ، حتى يكون ذلك مدعاة لهم الى الدخول فى دين
الله ، وهو الاسلام . لذلك قلما نجد مجادلا اسلاميا يكتفى بنقده
للنصرانية ، بل نجد غالبيتهم يفسحون فى نهاية نقدهم لها مكانا
لائبات نبوة محمد عليه الصلاة والسلام .

ولم يشذ عن هذه القاعدة مؤلفنا ، صالح بن الحسين الجعفرى ،
فقد خصص المسألة السابعة من كتابه « لاثبات نبوة سيدنا محمد
ﷺ » . غير أنه بالغ فى محاولته تلك مبالغة عظيمة ، اذ نراه قد
اختصها بالجزء الأكبر من كتابه . وهنا نتساءل : لماذا ابطال النفس
فى هذا الباب أكثر مما ينبغى ؟ وكما محاولة من جانبنا للرد على هذا
التساؤل يمكننا أن نقول : لعل السبب فى مبالغته تلك يعود فى المقام
الأول الى كثرة المطاعن التى وجهت الى صحة نبوة محمد عليه الصلاة
والسلام من قبل النصارى ، ومن زنادقة المسلمين على حد سواء ولقد مر
بنا ما وجهه يوحنا الدمشقى من طعن على الاسلام ، يتمثل فى ادعائه
أن المسلمين قد قبلوا نبوة محمد دون دليل ، أى دون ان يأتى
بمعجزة . كذلك فقد ادعى بعضهم « أن النبوات لم تبشر بمجيئه » عليه
الصلاة والسلام (٢٩) . كذلك فقد رفض ابن الراوندى - وهو زنديق -

(٢٨) الرد ، ورقة ٥٩ (ظهر) .

(٢٩) راجع : ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ،
الجزء الثالث ص ٢٥٨

نبوة محمد ومعجزاته (٣٠) . لذلك لم يكن غريبا ان نجد عددا كبيرا من العلماء المسلمين يؤلفون كتباً بأكملها بهدف واحد ، هو اثبات نبوة محمد ﷺ (٣١) ، وان نجد مؤلفنا يخصص له أكثر من نصف مؤلفه .

وقد بنى المؤلف استدلاله على نبوة محمد عليه الصلاة والسلام « على ثلاثة أصول : أحدها دعواه النبوة ، والثانى تحديه على ذلك بالخوارق الباهرة ، والثالث تنصيب الأنبياء المتقدمين عليه وعلى شريعته ، وبلده ، وأمه ، تارة باسمه وأخرى بموضعه وبلده ، وتارة بأعلام دينه وشعائره » .

وقد برهن على الأصل الأول ، وعلى الأصل الثانى بمعجزات كثيرة ، يأتى على رأسها القرآن الكريم ، وانشقاق القمر ، ووقوف الشمس عن جريانها ، ونبع الماء من بين أصابعه ، وتكثير الطعام ، وشهادة الشجر والحجر له بالنبوة والرسالة ، وحنين الجذع ، وسعى الشجر بين يديه ، وتسبيح الحصى فى كفه ، ونطق الحيوان بين يديه وشهادته له ، وإحياء الأموات ، ورد الجارحة والعضو الى حال صحتها ببركة لمسه ودعائه ، وانقلاب الأعيان الخ (٣٢) .

وفضلا عما فى اسناد بعض هذه المعجزات اليه ﷺ من غرابة ، كإحياء الميت ونطق الحيوانات أمامه ، فان المؤلف لا يكتفى بها ، بل يضيف إليها كثيرا من الكرامات التى يدعى وقوعها على يد صحابة الرسول واتباعه (٣٣) ، لأن كرامة الاتباع ، هى فى نظر المؤلف

(٣٠) راجع : آدم ميتز (Adam Metz) : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ، الجزء الثانى ، ص ٩٧ ، ٩٨ (٣١) نذكر من بين هذه الكتب كتاب : الفرق بين المعجزات والكرامات ... للباقلانى تحقيق ونشر ماك آرثى ، بيروت ١٩٦٥ ، وكتاب دلائل النبوة للباقلانى أيضا وقد نشره الأستاذ سيد صقر ، فى القاهرة عام ١٩٦٢ وذكر فى مقدمته له عددا كبيرا من الكتب التى ألفت لهذا الغرض ، مرتبة ترتيبا تاريخيا .

(٣٢) راجع الرد ، أوراق ٦٣ - ٩٠ (وجه وظهر) .

(٣٣) راجع الرد ، أوراق ٩١ ، ٩٢ (وجه وظهر) .

معجزة للرسول ، اذ لولا تبعيتهم له لما جرت هذه الكرامات على أيديهم .

أما الأصل الثالث والأخير من أصول استدلاله على صحة نبوة محمد عليه الصلاة والسلام فهو يتمثل في البشارات التي وردت في كتب العهدين القديم والجديد ، والتي يعتبرها المؤلف إشارة الى مجيء الرسول ﷺ . فمن البشارات التي استخرجها من العهد القديم ما ورد في سفر التكوين : « أن الله تعالى قال لابراهيم : ان في هذا العام يولد لك ولد اسمه اسحاق . فقال ابراهيم : ليت اسماعيل هذا يحيا بين يديك ، يحمذك ، فقال الله تعالى : قد استجبت لك في اسماعيل ، واني أصيره الى أمة كبيرة وأعطيته شعبا جليلا » (٣٤) . وقد علق المؤلف على هذا النص بقوله : « ولم يأت من صلب اسماعيل من بورك ويومن وعظم جدا جدا ، وصار الى أمة كبيرة وأعطي شعبا جليلا سوى رسول الله ﷺ » (٣٥) .

وربما تكون هذه البشارة دالة على مجيء محمد عليه الصلاة والسلام ، لكن المؤلف يورد بشارات أخرى ليس فيها دلالة على ذلك من قريب أو من بعيد ، نسوق منها النص التالي : « لترتاح البوادي وقراها ، ولتسر أرض قيذار فرحا ، ولتسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ، ويدفعوا تسابيحهم في الجزائر » (٣٦) . فهذا النص لا علاقة له بمحمد عليه الصلاة والسلام من قريب أو بعيد ، لكن المؤلف يعتبره بشارة بمقدمه عليه الصلاة والسلام فيقول : « ليت شعري : لمن البوادي العريى ﷺ ؟ ومن سكان الجبال والكهوف سوى العرب » (٣٧) ؟

(٣٤) سفر التكوين ، اصحاح ١٧ ، عد : ١٥ - ٢٠

(٣٥) الرد ، ورقة ٩٥ (وجه وظهر) .

(٣٦) وجدت نصا مقاربا لهذا النص في نبوة اشعيا ، اصحاح ٤٢ ،

عد : ١١ ، ١٢

(٣٧) الرد ، ورقة ١٠٠ (وجه وظهر) .

واكثر من هذا أنه يأتي ببشارات من العهد القديم فيها ذكر محمد بلفظه ، وهى بتسارات لم أثير لها على أثر فيه ، رغم مبالغتى فى البحث عنها ، من ذلك النص التالى : « وقال داوود فى مزمور آخر : ان رينا عظيم محمود جدا ، وفى قرية الهنا قدوس ومحمد قد عم الأرض كلها فرحا » (٣٨) . فهذا النص غير موجود فى المزامير فلعل المؤلف قد تصرف فى أحد نصوصها واستبدل فيه لفظا يدل على الحمد باسم محمد . ولو أن اسم محمد كان موجودا فعلا فى كتب اليهود لأخفوه ، أو لأحدث ذلك ضجة بين علماء الغرب قبل العلماء العرب .

أما ما أورده المؤلف من بشارات مأخوذة من الأنجيل ، فاهمها تلك التى جاء فيها ذكر « الفارقليط (Paraclet) » وقد اختلف العلماء الغربيون حول معنى هذا اللفظ ، فبينما يقول رجال اللاهوت المسيحى ان معناها « السن نارية نزلت على حوارى المسيح ورسله فجعلتهم يتحدثون لغات متعددة لا يعرفونها ، كدليل على صدق رسالتهم » (٣٩) نجد ان من عداهم يقول : ان معناها اللغوى هو أحد مشتقات لفظ الحمد أو الحماية كالحامد ، والحمد ، والمعزى ، والمخلص ، وهى كلها يمكن ان تدل على محمد عليه الصلاة والسلام نظرا لاتحاد أصل الاشتقاق ، فاسمه ^{صلى الله عليه وسلم} مشتق من الحمد أيضا .

ومن النصوص التى أوردها المؤلف مشتملة على هذا اللفظ ، النص الآتى : « قال المسيح : ان الفارقليط ، روح الحق الذى أرسله أبى ، هو يعلمكم كل شئ » (٤٠) . ويعلق المؤلف على هذا النص بقوله : « اختلف فى تفسير لفظة الفارقليط على أربعة أقوال : ف قيل الحامد وقيل الحماد وقيل المعزى وقيل المخلص ، وتلك صفات محمد ^{صلى الله عليه وسلم} ،

(٣٨) الرد ، ورقة ٩٩ (ظهر) .

(٣٩) راجع : Diction naire Encyclopédique de la Bible. art « paraclet » .

(٤٠) انجيل يوحنا ، اصحاح ١٤ ، عد : ٢٦

فهو الحامد والحمداد ، والمعز لدين الله ، والمخلص من دركات النيران » (٤١) .

وبإيراد المؤلف لهذه البشارات يكون قد أوفى على الغاية التي من أجلها قام بتحرير هذا الكتاب ، وقد ختمه بتلك العبارة : « قال المسيح عليه السلام : من قبل ثمارهم تعرفونهم ، فهذه ثمار سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، والتي صارت أعلق به من الغرام ببني عذرة ، والاقدام بابن أبي صفرة ، والأمر في ذلك مستغن عن كثرة الاستدلال وأوضح من أن يعلن أو يقال » (٤٢) .

● خاتمة :

إذا كانت كتب الرد على النصارى تبرز ضعف الأساس المنطقي الذي قامت عليه عقائد النصارى ، فإن قيمتها لا تقف عند هذا الحد ، أنها تلقى ضوءا شديدا على بعض أسباب ظهور كثير من المباحث الاسلامية . ذلك أن الاحتكاك بين أرباب الديانات والمتمثل فى شكل الردود ، والمطاعن المتبادلة ، من شأنه أن يستحث الهمم ويشحذ القرائح ، ويفتح بذلك آفاق البحث ، بما يضيف الكثير الى مباحث الدين وعلومه . يقول ابن تيمية بحق ، فى بداية كتابه « الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح » : « ومن أعظم أسباب ظهور الايمان والدين ، وبيان حقيقة انباء المرسلين ، ظهور المعارضين لهم من أهل الافك المبين وذلك أن الحق اذا جحد وعورض بالشبهات ، أقام الله تعالى له - مما يحق به الحق ويبطل به الباطل - من الآيات البينات ، ما يظهره من أدلة الحق ، وبراهينه الواضحة وفساد ما عرضه من الحجج الداحضة ... » نعم ، فأرباب الدين يظلون خاملين طالما كانوا فى مأمن من الهجوم والطعن ، فاذا حدث هذا فتح آفاق البحث فتنشأ علوم لم تكن موجودة من قبل ، وتزيد مباحث الموجود منها ، وهكذا يتكون التراث الدينى ، بتشعب علومه ومباحثه .

(٤١) الرد ، ورقة ١٠٩ (ظهر) .

(٤٢) الرد ، ورقة ١١٤ (وجه وظهر) .

الرد على النصارى

لأبى البقاء صالح بن الحسين الجعفرى

، المنوفى فى القرن السابع الهجرى

مسائل هذا الكتاب

١/٢

- المسألة الأولى : فى الرد على من زعم أن المسيح ابن الله .
- المسألة الثانية : فى ابطال الاتحاد .
- المسألة الثالثة : فى ابطال دعوى القتل .
- المسألة الرابعة : فى ابطال دعوى المثلوث .
- المسألة الخامسة : فى تناقض الانجيل .
- المسألة السادسة : فى اثبات نبوة المسيح عليه السلام .
- المسألة السابعة : فى اثبات نبوة سيدنا محمد ﷺ .



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الحمد لله مستحق الحمد واهله . وصلواته على سيدنا محمد
الناطق بجزيل القول وسهله . قال العبد الفقير الى الله تعالى ، صالح
ابن الحسين ، عفا الله عنه : وقفت على مسائل ذكر ان الفرنج بعثوا
يمتحنون بها اهل الاسلام فتظرت فيها فاذا هى خالية من الفوائد الدينية
عاطلة عن المنافع الدنيوية ، أقرب الأشياء شيها بخرافات النسوان
وترهات الولدان كسؤالهم عن الماء : هل له لون أم طعم / أم لا ؟ وعن
السحاب والمطر والثلج ما هو ؟ وعن الأحلام والنامات : أى شىء تكون ؟
وعن الجنين : هل هو مخلوق من ماء الرجل أم من ماء المرأة أم من
مائيهما ؟ وما السبب فى أن بعض الحيوانات كثيرة الأولاد دون بعض ؟
مما هو صفر عن الفائدة ، خلى عن الحكمة . وقد إجاب عن ذلك
جماعة من ضعفاء طلبة العلم وصغار الفقهاء من اصحابنا .

ب/٣

والأنى يظفر غلف اللسن بفصيح الكلام ، وتدرى عمى القلوب
دقيق الأحكام ؟ وما أبعد من الحكمة من زعم أن خالقه / تعالى أنزل
كلمته القديمة الأزلية من مجدها الرفيع الى حضيض الأرض ، فولجت
فى بطن امرأة من بنى آدم ، وسكنت رحمها تسعة اشهر ، تغتذى بدم
الطمث فى ظلمات الغم ، وتتألم بالم الأم ، ثم برزت من فرجها
طفلا ، فالقته فى الأرض ، ولفته فى الخرق ، ثم أرضعته ثديها ،
وأفرشته حجرها ، وتولت تأديبه وتعليمه ، حتى شب وترعرع ،
وتشوق الى حركة الرجولية وتطلع ، وأقام بين أظهر اليهود نيفا
وثلاثين سنة ، يرمونه بالسحر والخنا ، ويقذفون اسمه بالزنا . فلما
قارب الاكتهال ، دعا الى عبادته / النساء والرجال فوثبت عليه
شرذمة من إخساء اليهود ، فكذبوه ومزقوا أدمه ، وأراقوا دمه ،
وأوسعوه سبا ، وأوجعوه ضربا ، ثم قتلوه صلبا ، وصيروه بين
اللبصص ثلاثة الأثافى ، ثم أودع صدعا من الأرض فدفن بعد أن تصدق

١/٤

ب/٤

عليه بالكفن ، وتفرق عنه أحبابه ، وأسلمه الى الأعداء أصحابه .
وصار في صدر الأرض سرا مكتوما ، وعاد ذلك الاله العظيم عديما .

هذا اعتقاد النصرارى في الهمهم ومعبودهم ، وحكاية ذلك كافية
في الرد عليهم . واعلم ان هذه دعوى ملفقة ، وعقيدة هامتها بسيوف
ادلة / الاسلام ملفقة والدليل على فسادها المعقول والمنقول : ١/٥

أما المعقول : فلأن الكلمة هي صفة العلم أو النطق عندهم ، وهي
صفة نفس . وصفات النفس لا تفارق الذات الموصوفة بها . ولو فرضنا
ذلك للزم منه حدوث الكلمة ، لاشتغال أقطار الأرض عليها ، والقديم
يستحيل تحيزه . ثم الحركة والانتقال ، والتفريغ والاشغال ، هي
أول (١) حدوث العالم ، وفسد بذلك اثبات وجود الصانع تعالى .

وأما المنقول فالتوراة والنبوات ، وهي الناموس الذي / ينقلها
الاسرائيليون من لدن موسى الى زمن المسيح عليهما السلام ليس فيه
شيء من هذا الهذيان . وقد اوضحت ذلك وبينته في كتاب « تخجيل
من حرف الانجيل » فاستشهدت فيه بنبوات الانبياء ، والصحف القدماء ،
وانه لم يقل هذه المقالة الشوها ، أحد من العقلاء . ونحن الآن نلقى
عليهم مسائل من انجيلهم ونطالبهم بالجواب .

مسألة في الرد على من زعم ان المسيح عيسى ابن الله

زعم النصرارى ان المسيح عيسى ابن الله وان الله أبوه . / ونحن
نقسم القول عليهم فنقول : لا يخلو ، اما ان تعنوا بالابن جسد
المسيح وجثمانه ، أو الكلمة التي تدرعته (٢) واتحدث به في زعمكم ،
أو المجموع ، ابنا ، أو مجرد تسمية سماه الله بها ، تشريفا له واظهارا
لمزيته : فهذه أربعة اقسام لا يحتمل لفظ البنوة لها خامسا .

(١) كذا في الأهل ، ولعلها « أدلة » .

(٢) « تدرعته » أي اتخذته درعا ، أي حلت فيه .

فان عنيتم الأول فهو محال ، اذ يلزم منه ان القديم جل جلاله ولد جسدا ، وانما يلد الجسد جسد مثله . ولو كان القديم جسما لوجب ان يكون ملفقا من جوهرين فصاعدا . وكل مؤلف فمفتقر بالضرورة الى مؤلف ، اذ يستحيل ان يؤلف / نفسه ، ويركب ذاته .
ب/٦
فبطل ان يكون القديم جسما . وايضا ، فان القديم عبارة عما لا اول لوجوده ، والحادث عبارة عن مستفتح الوجود ، وما ثبت لذات القديم لم يتبعض حكمه . فلو قلنا ان ذاته تعالى انفصل عنها بعض حادث لأخرجناها عن صفة نفسها بأمرين : بقبول التبعض ، وانقلاب صفة النفس .

وان عنيتم الثانى فهو أيضا محال ، اذ الكلمة عندكم هى اقنوم العلم وهى صفة الأب فاذا كان العلم صفة نفس له فكيف تتأخر عنه حتى يلدها ، وهو لم يسبقها فى الوجود ، بل لم تزل / معه أزلا كأقنوم الحياة ؟ والعقل قاض بتقدم الوالد على ولده فى الوجود . فاذا قلتم بوجود الكلمة التى هى صفة العلم ، فيلزم منه جعل القديم محلا للحوادث .
١/٧

ووجه آخر : وهو ان الفائدة بالاتحاد انما كان ليقع الفيض اللاهوتى القديم على الجسد الناسوتى الحادث ، فاذا قلتم بحديث الكلمة لم يحصل المراد بالاتحاد . فاذا قلتم ان الكلمة قديمة فلا معنى لقولكم انها مولودة ، وصار تسمية القديم ابنا لغوا لا فائدة فيه . وليس الصفة بأن يسمى ابنا وليس الموصوف بأن يسمى ابا ، وهو غير سابق ، / بأولى من الصفة وهى غير متأخرة (٣) . واذا بطل ان يلد القديم صفته القديمة ، واستحال ان يلد من ليس بجسم جسما ، بطلت الولادة التى ترومونها .
ب/٧
وان عنيتم الثالث لزم من المحال ما يلزم من القسمين . اذ يلزم ان يلد القديم صفته وجسدا آخر حادثا . وكأنكم لم ترضوا الكلمة

(٣) أى ان كلا منهما يمكن ان يطلق عليه انه « أب » او « ابن » لاشتراكهما فى صفة القدم .

ابنا حتى أضفتم لها جسدا ناسوتيا . وإذا لم تصلح الكلمة لوصف
البنوة فالجسد أولى بعدم الصلاحية .

وان عنيتم الرابع ، وهو أن البنوة مجرد تسمية ، على معنى
ان الله تعالى سمى المسيح ابنا ليظهر مزيته على من سواه ويكرمه / ١/٨
بهذا اللقب دون من عداه ، فنقول : ما دليلكم على صحة هذا النقل
عن الله وعن رسوله المسيح عيسى عليه السلام ؟ فان أسندوه الى الانجيل وقالوا :
قد نطق بذلك السيد المسيح فى خاتمة انجيله ، حيث يقول : « انى ذاهب
الى ابنى وأبيكم والهى والهكم » (٤) ، وقال فى الانجيل : « هذا ابنى
الحبيب » (٥) قلنا : هب انا سلمنا لكم صحة هذا النقل عن السيد
المسيح ، فبم تذكرون على من زعم أن الله ساواه فى هذا التلقب بغيره
من صالح عبيده ، والحقه بمن تقدمه من بنى اسرائيل ؟ فقد حكيتم أن
الله تعالى قال فى التوراة لموسى / « اذهب الى فرعون وقل له : قال
لك الرب : اسرائيل ابنى بكرى ، أرسله يعبدنى ، وإن لم ترسل ابنى
بكرى قتلت ابنك بكرى » (٦) قالت التوراة : « فلما لم يرسل فرعون بنى
اسرائيل كما قال الله قتل الله إيكار المصريين من بكر فرعون الجالس على
السرير الى بكر الأتونى » (٧) والنصارى يقولون بهذا النص من التوراة ،
ولا ينكرون منه حرفا . فقد زاد يعقوب (٨) على المسيح فى هذه التسمية
بالبكارة . وقلتم : قال الله تعالى فى المزامير : « داوود ابنى حبيبى » (٩)
وفى ذلك مساواة للمسيح ، حيث جاء فى الانجيل : « هذا ابنى
الحبيب » (١٠) / وقلتم : قال الله تعالى فى نبوة اشعيا : « احفظونى
فى بنى وبناتى » (١١) وقال أيضا : قال الله : « انى ربيت اولادا حتى

(٤) يوحنا : ح ٢٠ ، عد : ١٧ .

(٥) متى : ح ٣ ، عد : ١٧ .

(٦) سفر الخروج : ح ٤ ، عد : ٢٢ ، ٢٣ .

(٧) سفر الخروج : ح ١٢ ، عد : ٢٩ .

(٨) يعقوب هو اسرائيل الذى ينتسب اليه « بنو اسرائيل » .

(٩) راجع المزمور الثانى ، عد : ٧ .

(١٠) متى : ح ٣ ، عد : ١٧ .

(١١) لم أعر على هذه الجملة بنصها فى نبوة اشعيا .

كبروا » (١٢) يعنى عبده من بنى إسرائيل . فلو لم ترد هذه التسمية الا فى المسيح ، لكان للنصارى فيها موضع شبهة . فما نرى المسيح له مزية على من وردت فيه هذه التسمية . وقد قالت التوراة : « لما نظر بنو الله بنات الناس حسانا جدا نكحوا منهم ما احبوا ، فقال الله تعالى : لا تحل عنايتى على هذا الجيل ، ثم أغرقهم بالطوفان » (١٣) ب/ فقد سماهم بنيه فى التوراة على / زعمهم . وقال داوود فى المزامير لقومه : « انا قلت انكم آلهة ، وبنوا العلى كلكم تدعون » (١٤) . وقال الله تعالى فى المزامير لداوود : « انت ابنى وانا ولدتك ، سلنى اعطك » (١٥) . وهذه اقوال تؤمن بها النصارى وتعتقد صحتها . فان كان الامر كما قالوا ، فما نرى السيد المسيح الا منسوجا له على منوال غيره ممن تقدمه . على اننا لا نسلم صحة هذا النقل عن السيد المسيح ولا عن انجيله الطاهر ، ويعارض ذلك بنقيضه فنقول :

١٠/١ الدليل على فساد وعدم صحته ما تضمنه الانجيل من اقوال/السيد المسيح واقوال تلاميذه الذين صحبوه وخدموه واخذوا عنه . فمن ذلك ما حكاه متى فى فاتحة انجيله ، فانه شهد ان المسيح ابن داوود ، فقال فى شهادته ، فى صدر كتابه : « هذا مولد يسوع المسيح ابن داوود » (١٦) فشهد متى ، وهو اول من دون الانجيل ، بان المسيح ليس هو ابن الله ، ولكنه ابن داوود . ومن ذلك ما حكاه لوقا فى صدر انجيله وشهد فقال : « ان الله ارسل جبريل الى مريم ، ام المسيح ، وهى بالناصرة ، فسلم عليها فقال لها : ابشرى . » (١٧) فشهد لوقا بمثل ما شهد متى ان المسيح ابن داوود وانك ستلدين ابنا / يدعى يسوع المسيح ، يجلسه الرب على كرسى ابيه داوود . ومن ذلك ما رواه ماري مرقس الانجيلي حيث يقول :

-
- (١٢) اشعياء : ح ١ ، عد : ٢ .
 - (١٣) سفر التكوين : ح ٦ ، عد : ١ - ٣
 - (١٤) مزمور : ٨٢ ، عد : ٦ .
 - (١٥) مزمور : ٢ ، عد : ٧ .
 - (١٦) متى : ح ١ ، عد ١ .
 - (١٧) لوقا : ح ١ ، عد ٢٦ - ٢٨ .

خرج يسوع المسيح وتلاميذه الى البحر وتبعه جمع كثير فأبرأ اعلالهم ، وشفاهم ، فجعلوا يزدحمون عليه ويقولون : انت ابن الله ؟ ، فكان ينهاهم « (١٨) » وقال لوقا : « كان كل من له مريض يأتى به الى يسوع فيضع يده عليه فيبرأ فيقول : انت ابن الله ، فكان ينهرهم ولا يدعهم ينطقون بهذا » (١٩) فهذا الانجيل يكذب من يدعى ذلك على السيد المسيح . واقوال تلاميذه وخيار / اصحابه تشهد بأنه ابن داوود ، وتابى ١/١١ نسبته الى غيره .

فان كان النقلان فاسدين ، فلا بنوة ، وان كانا صحيحين ، وحب تأويل احد النقلين وصرفه عن ظاهره وحمله على معنى الاجتناء والاصطفاء ، والتشمير فى العبودية والخدمة .

فقلوه تعالى فى الانجيل : « هذا ابنى » يريد هذا عبدى وحبيبى . والبنوة يتجاوز بها عن العبودية والاجتهاد فى الخدمة ، والدليل على ذلك انها لم ترد فى كتبهم الا مقرونة بها غالبا . فان اطلقت فى بعض الروايات ، وجب حمل المطلق على المقيد .

وبيانه من التوراة / قوله تعالى : « يا موسى قل لفرعون : يقول ١١/ب لك الرب الاله : اسرائيل ابنى بكرى ، أرسله يعبدنى » (٢٠) . ففسر البنوة بالعبودية ، وبين ان اسرائيل عبد مطيع يتعبد لله . وأما المزامير ، قال الله فيها لداوود : « أنت ابنى وأنا اليوم ولدتك ، سلنى اعطك » (٢١) . فنبه على العبودية بالمسئلة . وقال المسيح فى الانجيل : « انى ذاهب الى ابنى وابيكم والهى والهكم » (٢٢) ، فبين بذلك أنه عبد مالوه ، له اله يعبده ويذهب اليه . وقال بولس الرسول فى صدر / رسالته الخامسة الى ١٢ / ١

(١٨) مرقس ، ج ٣ عد ٧ - ١٢ .

(١٩) لوقا ، ج ٤ عد ٤١

(٢٠) سفر الخروج ، ج ٤ ، عد ٢١

(٢١) مزمور ٢ ، عد ٧ .

(٢٢) يوحنا ، ج ٢٠ ، عد ١٧ .

أخوانه : « انى منذ سمعت ايمانكم لست افتر من الدعاء لكم فى صلاتى أن يكون اله سيدى يسوع المسيح يعطيكم روح الحكمة والبيان ، وينور عيون قلوبكم » (٢٣) . فهذا بولس يشهد بعبودية المسيح . وقال المسيح فى الانجيل : « الهى الهى ، لم تركتني » ! (٢٤) . وقد شهد الانجيل بصومه ، وانه كان يصلى ويتعبد ، ويلزم وظائف التكليف ، وكل ذلك دليل على غلط النصارى فيه عليه السلام .

وبعد - يرحمك الله - فقد طالعنا الانجيل من اوله الى آخره ، وقلوبنا ظهرا / لبطن وخبرناه حرفا حرفا فما راينا فيه مزية للمسيح على غيره من أصحابه ومتأخرى اتباعه فى هذه التسمية ، وتعرف ذلك مما اتلوه عليك منه .

قال متى فى انجيله : « ان جباة الجزية اتوا بطرس فقالوا : ما بال معلمكم لا يؤدى الجزية ؟ فقال ذلك بطرس للمسيح . فقال المسيح : والبنون ايضا تؤدى الجزية . اذهب الى البحر ، واللق الشص ، فأول حوت ترفعه افتح فاه وخذ منه ما تؤدى عنى وعنك » (٢٥) فهذا متى وبطرس يشهدان على المسيح بأنه هو وغيره فى هذه البنية / سواء . وقال متى : قال المسيح : « احبوا أعداءكم ، وباركوا على لاعنيكم ، واحسنوا الى من ابغضكم ، وصلوا من يطردكم لكيما تكونوا أبناء المشرق شمس على الأخيار والأشرار ، والمطر على الصديقين والظالمين » (٢٦) . وقال المسيح : « كونوا كاملين مثل أبيكم ، فهو كامل ، ولا تضعوا بركم قدام الناس لكى تراؤونهم ، فيحبط أجركم عند أبيكم الذى فى السموات » (٢٧) وقال المسيح : « اذا صليت فادخل الى مخدعك ، وأغلق بابك ، وصل لأبيك سرا ، وأبوك يرى السر فيجزيك / علانية » (٢٨) .

-
- (٢٣) رسالة بولس الى أهل أفسس ، ح ١ ، عد : ١٥ - ١٧ .
 (٢٤) متى ، ح ٢٧ ، عد : ٤٦ .
 (٢٥) متى ، ح ١٧ ، عد : ٢٤ - ٢٧ .
 (٢٦) متى ، ح ٥ ، عد : ٤٤ - ٤٧ ، متى ، ح ٦ ، عد : ١ .
 (٢٧) متى ، ح ٦ ، عد : ٦ - ٨ .
 (٢٨) متى ، ح ٦ ، عد : ٩ .

وقال المسيح : « اذا صليتم فقولوا : يا أبنا الذى فى السموات : قدوس اسمك ، الى آخر السورة » . وقد شهد بولس فصيح النصارى وخطيبهم ، وهو الذى يسمونه بولس الرسول ، بأن بنى آدم عن آخرهم أبناء الله ، الصالحين منهم والطالحين ، فقال فى الرسالة الخامسة من رسائله : « أياكم والسفه والسب واللعن ، فان الزانى والزانية والنجس والغاشم كعابد الوثن لا نصيب له فى ملكوت الله . لحذروا هذه الشرور ، فمن أجلها يأتى رجز الله على الأبناء الذين لا يطيعونه فاياكم ان تكونوا / شركاء ١/١٤ لهم ، فقد كنتم فى ظلمة فاتبعوا الآن سعى أبناء النور » (٢٩) .

فهذه اقوال المسيح واقوال أتباعه وصلحاء أصحابه وحملة شريعته مصرحة باطلاق لفظ البنوة على عباد الله وخلقهم . وقال يوحنا الانجيلي فى الفصل الثانى من الرسالة الأولى : « انظروا الى محبة الأب لنا كيف اعطانا ان ندعى له أبناء » (٣٠) . وقال فى الفصل الثالث منها : « أيها الأحبار ، الآن صرنا أبناء الله ، فقد تبنا بنا ، فينبغى لنا ان ننزله من الاجلال على ما يليق به » (٣١) / فهذا يوحنا الانجيلي يذكر أن البنوة ١٤/ب عبارة عن العبودية وبذل الجهد فى الخدمة والعبادة ، وقال يوحنا فى الفصل الثالث من الرسالة الأولى : « ان كل من ولد من الله فلن يعمل خطيئة ، فان زرعه ثابت فيه ، فلن يستطيع ان يخطئ ، لأنه مولود من الله ، وبهذا يتبين أبناء الله من أبناء الشيطان » (٣٢) . وهذا فى الانجيل وفى كلام التلاميذ من أصحاب المسيح وأتباعه أكثر من أن يحاط به . فهل بقى بعد ذلك للمسيح عليه السلام اختصاص بهذه البنوة دون من عداه .

وقال بولس فى رسالته / الى ملك الروم : « ان الروح يشهد لنا ١٥/أ

(٢٩) رسالة بولس الأولى الى أهل كورنثيس ، ح ٦ ، عد :

١٠ - ١٢ .

(٣٠) رسالة يوحنا الأولى ، ح ٣ ، عد : ١ .

(٣١) رسالة يوحنا الأولى ، ح ٣ ، عد : ١ .

(٣٢) رسالة يوحنا الأولى ، ح ٣ ، عد : ٣ - ١٠ .

أنا أبناء الله ، فإذا كنا أبناءه فنحن ورثته « (٣٣) . وقال أيضا :
« ان البرية كلها تترجى ظهور أبناء الله » (٣٤) .

وقال بولس في رسالته الثانية : « ان الله تعالى يقول : انى أحل
فيهم وأسعى معهم وهم يكونون لى بمنزلة البنين والبنات » (٣٥) .
فهل عبد النصرارى اسراييل لكونه ابنا بكرا ، او داوود لكونه ابنا حبيبيا ،
او بعض من ذكرنا منهم لكونهم بنين وبنات ، فقد انقطعت بهم الحجة
وانفصمت عراهم ، وذهبت لفظة البنوة من أيديهم . فان كان لولادة
المسيح / وبنوته وجه معقول اوجب عندهم أن جعلوه ربا ، وخصصوه
بالعبادة ، سوى ما اقتضاه التقسيم فى صدر المسألة ، فليبيدونه ،
وانى يجدون الى ذلك سبيلا ، والله سبحانه أعلم .



-
- (٣٣) رسالة بولس الى اهل روما ، ح ٨ ، عد : ١٦ ، ١٧
(٣٤) رسالة بولس الى اهل روما ، ح ٨ ، عد : ١٩
(٣٥) رسالة بولس الثانية الى اهل كورنثيس ح ٦ ، عد : ١٦

المسألة الثانية : فى ابطال الاتحاد

زعم النصارى ان ربهم عبارة عن لاهوت وناسوت ، اتحدا فصارا مسيحا . وكثيرا ما يقولون : اتحد اللاهوت بالناسوت ، ويعبرون عن ذلك بالتانس والتجسد . ونحن قبل الخوض معهم ، نطالبهم بصحة هذه الدعوى ، فنقول : / ما ادعيتهم فى اتحاد اللاهوت بالناسوت ١/١٦ اذلك شئء شاهدتموه بالعيان ، او رآه اوائلكم وسلفكم ، حتى ساغ لكم اعتقاده ؟ ام تنقلون ذلك عن المسيح ؟ فان زعموا ان ذلك شئء شاهده اوائلكم فقد تحامقوا واكذبهم عقلاؤهم . وان عزوا ذلك الى قول المسيح اكذبهم انجيله ، بما تضمنه من اقواله الدالة على انه انسان من بنى آدم ، كقوله لليهود فى الانجيل : « لم تريدون قتلى ؟ وانا انسان من بنى آدم . كلمتكم بالحق الذى سمعته من الله » (١) . وقال ايضا : « للثعالب اجحار ، ولطير السماء اوكار / وابن الانسان ليس له موضع يسند ١٦/ب راسه » (٢) . فاخبر انه انسان . وذلك تكذيب لمن يقول انه انسان واله . وقال المسيح : « انى ذاهب الى الهى والهكم » (٣) . وقال ايضا : « لم تركتني » (٤) . فاعرب عن نفسه انه انسان ، وله اله ورب يرجوه ويدعوه . وقال المسيح ، وقد قال له رجل : يا معلم صالح ، فقال له : « لم تدعونى صالحا ؟ لا صالح الا الله الواحد » (٥) . وهذا كما تروين تكذيب لمن زعم انه اله اتحد بانسان . وقد صرح الانجيل من فاتحته الى خاتمته بان المسيح جاع وشبع ، وفرح وجزع ، وسال ودعا / وركب ١٧/٢ الحمار وسعى ، وناله النفع ، واعترضته عوارض البشر . فبطل ما ادعوه من نقل ذلك عن السيد المسيح .

(١) يوحنا ، ح ٨ ، عد : ٣٩ ، ٤٠

(٢) متى ، ح ٨ ، عد : ٢٠

(٣) يوحنا ، ح ٢٠ ، عد : ١٧

(٤) مرقس ، ح ١٥ ، عد : ٣٤

(٥) مرقس ، ح ١٠ ، عد : ١٨

ونحن ، بعد ذلك نقسم القول عليهم فنقول : لا يخلو ما ادعيتموه من اتحاد اللاهوت بالناسوت أن يراد باللاهوت الآب على تجرده ، أو الكلمة على تجردها ، أو كلاهما ، أو المحبة والموافقة باجابة الدعوة وانالة الطلب ، كقول القائل لمن أحبه : أنا وأنت واحد . فهذه أربعة ١٧/ب لا يعقل لها خامس . /

أما الأول فباطل لأنه أن أريد بالاتحاد الامتزاج بالذاتين حتى صارتا ذاتا واحدة ، فهو محال ، إذ لا مجانسة ولا اشتراك . ولئن كان من المستحيل اتحاد جسم النار بجسم الماء مع الاشتراك فى الجسمية ، فلأن يستحيل اتحاد ما ليس بجسم مع جسم ، مع نفى الاشتراك ، أولى . وأن أريد بالاتحاد التدرج ، فلا يخلو : أما أن يدعوا أن اللاهوت صار درعا للناسوت ، أو أن يدعوا أن الناسوت صار درعا لللاهوت ، والأول باطل / لأن صيرورة القديم درعا يستدعى تجويفا وتشكلا بشكل الجسم اللابس له ، وما تشكل بشكل الحوادث فهو حادث . ١٨/أ

والثانى باطل ، لأن ما قبل الحادث (٦) ، فهو حادث . وإذا بطل القسمان ، وجب أن يكون مستحيلا (٧) .

وقد شهد مفسرهم وعالمهم ، بولس الرسول ، أن الحلول والاتحاد الجارى على لسان متقدميهم ليس على ما يتخيله المتأخرون منهم ، وأن المراد به الاحاطة بالعلم والاشراف على القلوب ، والمراقبة على الخواطر ، فقال : / فى رسالته الثانية الى اخوانه : « أو لستم تعلمون وتوقنون أن يسوع المسيح حال فيكم ، ولئن لم يكن فيكم أنكم لمرذولون ، وأنا أرجو أن تكونوا غير مرذولين » (٨) . ١٨/ب

فهذا الكلام من بولس ، لو حمل على ظاهره ، لزم منه محال ، فيتعين حمله على ما قلناه . ولئن كان من المستحيل اتحاد جسد المسيح

(٦) أى من التشكل والتجوف وغيرهما على فرض الناسوت قديما
والعبارة ركيكة .

(٧) أى وجب أن يكون الاتحاد مستحيلا .

(٨) رسالة بولس الثانية الى أهل كورنثيس ، ح ١٣ ، عد : ٥

بجسد انسان آخر ، فاتحاد القديم ، جل جلاله ، أو اتحاد صفته بجسد المسيح أولى فى الاستحالة . وكيف تصح هذه الدعوى ، والانجيل يشهد بأن المسيح سئل عن يوم القيامة / فقال : « لا اعلم ذلك ، ولا يعلمها ١/١٩ الملائكة الذين فى السموات ، ولا يعلم ذلك سوى الأب وحده » (٩) . ولما طلب منه احياء العاذر جاء مع أخته مريم الى الجبانة ، فقال : « أرونى أين دفنتموه » ؟ (١٠) . وسأله رجل أن يشفى ابنه من جنونه فقال : « منذ كم علقه هذا الجنى ؟ فقال الأب : منذ صباه » (١١) . وجاع المسيح عليه السلام فقصد شجرة تين هو وأصحابه ليصيبوا منها ما يسد مخمضتهم ، فلم يجدوا فيها شيئا » (١٢) . وقال المسيح : « لا اعمل بمشيئتي بل بمشيئة من أرسلنى » (١٣) . وقال : « يا الله : اصرف عني هذا الكأس ، لكن / ليس كما أريد ، بل كما تريد أنت » (١٤) . ١٩/ب كل ذلك نصوص الانجيل ، فلو كان الاتحاد صحيحا ، كما يزعمون ، لم تقع المغايرة بين مشيئته ومشيئة الله ، وبين علمه وعلمه ، واراادته واراادته ، وهذا اوضح .

وان عنوا الاتحاد من بعض الرجوه ، فقد ناقضوا دعوى الاتحاد ، لأن حقيقة صيرورة اكثر من الواحد واحدا محال . ولهذا يقول مشايخهم : ان الاتحاد أصار أكثره قلة (١٥) وجعل الاثنين واحدا . ثم ذلك الوجه المدعى ان كان اتحادا بالذات فهو فاسد ، لما قدمناه من عدم التجانس بين القديم / والحادث ، وان كان بالصفة فهو فاسد ايضا ، لتعذر مفارقة ١/٢٠ الصفة لموصوفها ، ولما حكيناه من أقوال المسيح عليه السلام فى القيامة ، وقصة العاذر والجنى وغيرهما .

(٩) مرقس ، ح ١٣ ، عد : ٣٢

(١٠) يوحنا ، ح ١١ ، عد : ٢٥

(١١) مرقس ، ح ٩ ، عد : ٢١

(١٢) متى ، ح ٢١ ، عد : ١٨

(١٣) يوحنا ، ح ٥ ، عد : ٣٠

(١٤) متى ، ح ٢٦ ، عد : ٣٩

(١٥) « صار أكثره قلة » : عبارة غامضة ، يدل السياق بعدها على

ان المراد منها أصار المجموع وهو اثنين المعبر عنه بقوله « أكثره » ، بعد الاتحاد ، واحدا ، وهو المعبر عنه بقوله « قلة » .

وبعد - يرحمك الله - فلو ان كل من أيده الله بطلبته ، وأكرمه
 باجابة دعوته ، سمي متحدا به لما بقى للمسيح مزية على غيره ،
 لما نتلوه عليك من كتب القوم . وقد أيد الله جماعة من صفوته وخواص
 عبيده بآيات بينات وخوارق العادات أربوا فيها على السيد المسيح .
 ولنقص على نبذة / يسيرة من ذلك ، فقد طولنا النفس في كتابنا
 ٢٠/ب المقدم ذكره .

لم يدع المسيح عليه السلام آية ولا معجزة الا وحكيما من كتبهم
 عن شيء من الأنبياء مثلها وأعجب منها . أما احياء الميت بدعوة المسيح
 عليه السلام ، فقد أحيى الياش ابن اسرائيلية ، وأحيى اليسع ميثين ،
 الواحد في حال حياته والآخر بعد موته . وروى عن سفر الملوك من
 كتبهم ان قوما حملوا ميتا وذهبوا به الى المقابر ، فراوا عدوا ، فطرحوا
 الجنازة عن رقابهم وابتدروا المدينة ، فقام الميت يتبعهم حتى لحقهم
 حيا / فنظروا فاذا هم قد طرحوه على قبر اليسع « (١٦) » . وقد روى
 ان حزقيال أحيى آلافا من بني اسرائيل كان بختنصر قد قتلهم ولهم من
 يوم قتلوا مائة وستون سنة « (١٧) » ، وذلك أعجب من احياء العاذر
 وابن الأرملة وابن الرئيس « (١٨) » . وأما فتح عيني الأكمه وتسويتهما
 طينا وغسلهما بالماء ، فخلق عينين باصرتين بخشبة من الخشب أغرب
 من رد الصحة الى جارحة متهيجة قابلة لذلك . وقد شهدت التوراة ان
 موسى عليه السلام / كان يقلب عصاه حية ذات عينين تبصر بهما وتقصد
 ما أرادت ، وتتوجه الى حيث شاعت « (١٩) » . « وقد ضرب الرمل
 بعصاه فانثال قملا حتى ملأ أرض مصر ، لكل واحدة عينان » « (٢٠) » .
 ثم عصاه هذه كانت أعجوبة من العجايب كيف أرادها ، فبينما هي

(١٦) سفر الملوك الثاني ، ح ١٣ ، عد : ٢١
 (١٧) راجع نبوة حزقيال ، ح ٢٧ ، عد : ١ - ١٤
 (١٨) عبارة غامضة ، ولعل صوابها : « وذلك أعجب من احياء
 عيسى لثلاثة نفر هم : العاذر ، وابن الأرملة ، وابن الرئيس » .
 (١٩) راجع سفر الخروج ، ح ٤ ، عد : ٣ ، ح ٧ ، عد : ٩
 (٢٠) سفر الخروج ، ح ٨ ، عد : ١٢

خشبة اذ حولها حية وبينما هى حية اذ صيرها شجرة مثمرة طارحة
جوزا ، ذات اغصان وافنان ، وبينما هى كذلك اذ اعادها الى حالها
الاول «(٢١) . ثم انه يستدعى بها الجراد والقمل والضفادع ، وينزل
بها الثلوج ، ويجرى / المياه ويشق البحر ، وينبع الماء من الصخر ، ١/٢٢
فتنفذ فى كل الاعمال اتم نفوذ ، وذلك يربى على آيات المسيح ﷺ .
وقد فتح يوسف عينى ابيه يعقوب ، كما شهدت بذلك التوراة (٢٢) .
واما تطهير الأبرص ، فقد حكوا فى سفر الملوك : « ان رجلا تبرص ،
فقصد اليسع عليه السلام ليبرئه من علته ، فاستاذن عليه فلم يأذن له ،
وقال لبعض اصحابه : قولوا له يذهب الى نهر الأردن فينغمس فيه فيبرأ .
فذهب ، ففعل فبريء من برصه ، فرجع الى بلاده ، فاتبعه غلام اليسع / ٢٢/ب
واوهمه ان اليسع ارسله يطلب مالا ، ففرح الرجل وأعطاه مالا نفيسا ،
ثم جوهرات ثمينيا ، فأخفاه وادخره لنفسه ، ثم عاد فقال له النبی عليه
السلام : مضيت الى الرجل واوهمته عنى كيت وكيت ، واخذت منه
كذا وكذا من المال وأخفيت فى موضع كذا وكذا ، وفعلت ذلك ؟ فليصر
برصه عليك وعلى نسلك . وبرص الرجل مكانه (٢٣) وذلك اعجب من
فعل المسيح . ابرا الرجل وبرص الرجل ونسله (٢٤) . وقد شهدت التوراة
ان اخنوخ موسى تغيرت على اخيها موسى ونفست عليه / فبرصت فرق ١/٢٣
عليها ودعا لها فعوفيت (٢٥) وذلك ابداع ، لأنه أمرض وعافى . وأما مشيه
على الماء ، فقد مشى الياس واليسع على صفحة نهر الأردن (٢٦) .
وكذلك يوشع مشى على البحر بتابوت الشهادة (٢٧) . وأما تحويل
الماء خمرا ، كما حكاه يوحنا فى انجيله ، فقد حكوا لنا عن نبى من

-
- (٢١) سفر العدد ، ح ١٧ ، عد : ٢٣ ، ٢٤
(٢٢) لم اعثر على ما يدل على هذه الحادثة فى كتب العهد القديم .
(٢٣) سفر الملوك الثانى ، ح ٥ ، عد : ١٠ - ٢٧
(٢٤) « ابرا الرجل وبرص الرجل ونسله » جملة توضيحية
تبين ما فعله اليسع مع الرجلين .
(٢٥) سفر العدد ، ح ١٢ ، عد : ١٠ وما بعدها .
(٢٦) سفر الملوك الثانى ، ح ٢ ، عد : ٨
(٢٧) راجع يوشع ، ح ٣ ، عد : ١٦ ، ١٧

انبيائهم انه نزل بامرأة من بنى اسرائيل فأكرمتها و اضافته ، فقال حين اراد الانصراف : الملك حاجة ؟ فقالت : يانبي الله ان على زوجي ديناً ب ٢٣ / قد / قرحه ، فان رايت أن تدعوا الله لنا ؟ فقال لها : استعيري الساعة من جيرانك ما قدرت عليه من الاواني واحضري لى ما عندك من ذلك ، ففعلت ، فأمرها أن تملأ الجميع ماء ، ثم اتركه ليلتك ، ففعلت ، فأصبحت فوجدت ذلك كله زيتا فباعوه وقضوا دينهم » وقد شهد بذلك سفر الملوك من كتبهم (٢٨) . واما تكثير الطعام ، فقد حكى الانجيل أن المسيح عليه السلام اطعم خمسة آلاف من خمس خبزات وحويتين وفضلت كسر كثيرة ملأوا منها / اثني عشر زنبيلاً (٢٩) . وقد زادت آية موسى على ذلك زيادة عظيمة اذ شهدت التوراة « أنه اطعم ستمائة ألف من بنى اسرائيل منا وسلوى » (٣٠) ، وذلك أعجب من آية الانجيل . « وقد نزل الياص النبي بامرأة أرملة في زمان قحط فأحضرت كفا من دقيق ، فبارك فيه ، فأقام عندها ستة أشهر تأكل منه هي واهلها وجيرانها حتى فرج الله عن الناس » (٣١) .

ولنقتصر على هذا القدر لأننا قد استوعبنا في كتابنا الملقب بتخجيل ب ٢٤ / من حرف الانجيل ، ولم ندع من آيات / السيد المسيح آية الا ذكرناها للانبياء وأعجب منها . واذا بطلت الاقسام الأربعة في الاتحاد بما قدمناه فلا معنى للاتحاد . وقد أوضحنا تناقض الفرق الثلاثة الملكية والنسطورية واليعاقبة في الاتحاد ، وبالغت عليهم في الرد في الكتاب المذكور .



- (٢٨) سفر الملوك الثاني ، ج ٤ ، عد : ١ - ٧
 (٢٩) متى ، ج ١٤ ، عد : ١٩ - ٢١
 (٣٠) سفر الخروج ، ج ١٦ ، عد : ٣٢ - ٣٦ ، سفر العدد ، ج ١١ ، عد : ٢٣ - ١٨
 (٣١) سفر الملوك الأول ، ج ١٧ ، عد : ٧ - ١٦

المسألة الثالثة : فى إبطال دعوى القتل والصلب

ولنقدم عليه مقدمة فنقول : اختلف النصارى فى المسيح ، وتباينت
اعتقاداتهم فيه . ولا يمكن حصر اقوال فرقهم فى الاتحاد / ولكن ١/٢٥
المشهور منهم ثلاث فرق ، وهم : الملكية ، والنسطورية ، واليعقوبية .

فمذهب الملكية ، وهم الروم ، أن المسيح ، بعد الاتحاد ، جوهران ،
واقنوم واحد ، وله طبيعتان ، لاهوتية وناسوتية . فله باللاهوتية مشيئة
كمشيئة الأب ، وله بطبيعة ناسوته مشيئة كمشيئة ابراهيم وداوود ، ولكنه
اقنوم واحد . وردوا الاتحاد الى القنومية ، اذ راوه بالنسبة الى
الجوهرية قبيحا .

ومذهب النسطورية / ، وهم نصارى المشرق الذين اخذوا الامانة ٢٥/ب
عن مارى السليح وعن توما ، ساعدوا نسطورس على مقالته ، فنسبوا
الله [قوله] (١) : ان المسيح بعد الاتحاد جوهران واقنومان باقيان
على طبيعتهما كما كانا قبل الاتحاد ، غير أن لهما مشيئة واحدة ،
يفعل بها فعل الاله وفعل الانسان . وردوا الاتحاد الى خاص البنية ،
اذ راوه بالنسبة الى الجوهرية والقنومية محالا .

ومذهب اليعقوبية ، المنسوبة الى يعقوب السروجى ، وقيل
البرادعى ، وهو الذى اخذ المقالة عن / فورلس صاحب الاسكندرية ، ١/٢٦
أن المسيح صيره الاتحاد طبيعة واحدة واقنوما واحدا . فالمسيح عندهم
بعد الاتحاد اله كله وانسان كله ، وله طبيعة واحدة يفعل بها ما يشبه
فعل الاله وما يشبه فعل الانسان ، وهو اقنوم واحد ، (فرقوا) بالاتحاد
من كل وجه (٢) .

فعلى تقدير صحة مقالاتى الروم واليعاقبة ، يمتنع قتل المسيح ،

(١) « قوله » كلمة ليست موجودة فى الاصل ، اضفناها
لتوضيح المعنى .
(٢) قوله « فرقوا » لعل صوابها : « فقالوا » ليلتئم السياق .

٢٦/ب فان ابوا الا القول بقتله ، فيقال لهم : اليس تركب من جوهر اللاهوت وجوهر الناسوت اقنوم شخص واحد ؟ فاذا قالوا نعم ، ولا بد لهم منه ، قيل لهم : فالافتراق بالمشيئة لا يصير مع الاتحاد / فى القنومية (٣) . واذا قلتم ان الذاتين اصارهما الاتحاد اقنوما واحدا ، شخصا واحدا ، لم يمكنكم ادعاء قتله بعد . وقد كان الجوهر اللاهوتى ، قبل اتحاده بالناسوت مقدسا عن ان تناله الايدى ، فكيف انحط عن غيره لاهوتيته وسمو جبروتيته بمشابكة الناسوت ؟ (٤) وليس الناسوت فى حط اللاهوت ، حتى قتل وصلب ، بأولى من اللاهوت فى رفع الناسوت حتى نجا وسلم . واذا تحقق المسيح اقنوما واحدا مركبا من طبيعتين ، لاهوتية وناسوتية ، فمحال أن يقال انه قتل ولم يقتل ، وصلب ولم يصلب . فامتنع ، والحالة / هذه ، على رأى اليعاقبة ، قتله ، أولى بالمنع (٥) ، اذ قالوا ان طبيعة اللاهوت والناسوت صارتا طبيعة واحدة ، واقنوما واحدا ، وما كان كذلك فلا سبيل الى عدمه .

٢٧/١ واما النسطورية ، فانهم تفتنوا الى استحالة الجمع بين دعوى الاتحاد والقتل ، فردوا الاتحاد الى خاص البنوة فقط ، غير انهم وافقوا أصحابهم فى عبادة المسيح ، واعتقاد ربوبيته ، وذلك أيضا مانع من اعتقاد قتله ، اذ أن ما ثبت قدمه استحالة عدمه (٦) . وهذا أوردناه / جدلا ، وفيه ابطال مذهبهم بمقتضى مذهبهم .

وطريق التحقيق أن نقول : ما ادعيتموه من قتل المسيح وصلبه . ، انتقلونه تواترا او آحادا ؟ فان ادعوه بطريق الآحاد لم تقم به الحجة ، اذ لم يفد العلم الضرورى ، اذ لا يؤمن على الآحاد السهو والغلط واعتماد

(٢) لأن المسيح كانت له تصرفات انسانية تصدر عنه بمشيئة ناسوتية انسانية لا الهية .

(٤) عبارة ركيكة . ولعله يريد أن يقول : فكيف انحطت لاهوتيته عن مقامها بمشابكة الناسوت .

(٥) « أولى بالمنع » : كذا فى الأصل ، وهى عبارة غامضة .

(٦) « اذ أن ما ثبت قدمه استحالة عدمه » ذكرنا هذه العبارة بدلا من قوله فى الأصل : « واذا ما ثبت قدمه استحالة عدمه » ليستقيم السياق .

الكذب . وان ادعوه بطريق التواتر فيشترط استواء الطرفين والواسطة
فى الكثرة المعتبرة ، وذلك ان ينتهى عدد الناقلين الى غاية يستحيل
معها التواطؤ والسهو والغلط ، وذلك ان يقول الجم الغفير عن الجم
الغفير الى ان تنتهى الاخبار / الى من شاهد المخبر عنه . فمتى اختلف ١/٢٨
ذلك او بعضه فليس بتواتر .

فان زعم النصارى ان خبر قتل المسيح وصلبه من هذا القبيل
حاكمناهم الى الانجيل الذى بأيديهم ، وقلنا لهم : قد نطق كتابكم بأن
اليهود خرجوا الى المسيح ليلة الجمعة ، لثلاث عشرة خلت من شهر
نيسان ، بالسيوف والعصى والمصابيح والمسيح اذ ذاك مع تلاميذه بوادى
الارمن ، ففرعوا الباب ، فخرج اليهم المسيح فقال : من تريدون ؟
فقالوا : يسوع ، وانكروا / المسيح فلم يعرفوه ، وفعلوا ذلك مرات ، ٢٨/ب
فقال : انا يسوع . فأخذوه وربطوه ، وهرب أصحابه فلم يتبعه الا بطرس
من بعيد وشاب آخر عليه ازار ، فتعلقوا بالثياب ، فترك لهم الازار
وهرب عريانا . فاما بطرس فدخل الدار وجعل يصطلى بالنار مع الجند ،
فعرفته جارية ، فقالت : انت صاحب يسوع ، فانكر ، فجاءت اخرى
فقال مثل مقالة الاولى ، فانكر بطرس ، وحلف انه لم يعرفه ، وخادعهم
حتى افلت من ايديهم . وكان صباح تلك الليلة صلب المأخوذ فلم
يحضره / احد من اتباع المسيح الا نسوان يبكين ، فقال لهن المصلوب ١/٢٩
لا تبكين على ، وابكين على انفسكن واولادكن . لياتين عليكن زمان
تقولون : طوبى للعواقر اللاتى لم يلدن . فاما اليهود الذين شاهدوا
القتل والصلب فلم يبلغ عددهم عدد التواتر ، اذ لم يحضر من اتباع
المسيح احد سوى نسوة ضعاف ، واليهود لم يحضر منهم سوى شرذمة
قليلة (٧) فلا تواتر . وكل من جاء بعدهم انما نقل عنهم ، وذلك
لا يحصل به العلم . واذا ابطالنا عليهم خبر التواتر الموجب / للعلم ٢٩/ب

(٧) يوحنا ، ح ١٨ ، عد : ٣ - ١٨ ، لوقا ، ح ٢٣ ، عد :

٢٧ - ٢٩

فلنرصد ذلك بظواهر من الانجيل ، تخرم الثقة بصلب المسيح وقتله ،
وتحيل ذلك الى غيره .

الحجة الاولى : لا شك أن المسيح نشأ بين اظهرهم نيفا وثلاثين
سنة ، يبهر اليهود بالحجج والدلائل ، ويخرسهم بالكلمات الجوامع فى
المجامع . فيعرفونه صغيرا وكبيرا ، ويتحققونه جليلا وخطيرا ، فما الذى
الجاهم الى ان استأجروا رجلا من تلاميذه الاثنى عشر بأجرة حتى
عرفهم بصورته لولا وقع الشبهة ؟

الحجة الثانية / على ان المقتول المصلوب غير المسيح : ان متى ١/٣٠
حكى فى انجيله ، فى الاصحاح الخامس والستين : « ان رئيس الكهنة
اقسم بالله الحى على المأخوذ : أما قلت لنا ان كنت المسيح ابن الله
الحى ؟ فقال له : انت قلت » (٨) ، ولم يقل المسيح : انا . وحكى لوقا
فى انجيله قريبا من هذا اللفظ (٩) . وذلك من ادل الدلالة على ان
المأخوذ ليس هو السيد المسيح . ولو كان هو المسيح نفسه لم يوار فى
الجواب ، ويستعمل الحيدة عن اجابة الكاهن . وكيف يكون المسيح
ويقسم عليه بالله تعالى : أين المسيح ؟ فلا / يقول له : انا المسيح . ٣٠/ب

الحجة الثالثة : قال لوقا فى انجيله : « صعد يسوع الى جبل
الجليل ، ومعه بطرس ويعقوب ويوحنا ، فبينما هو يصلى اذ تغير منظر
وجهه ، وابيضت ثيابه فصارت تلمع كالبرق ونظروا موسى بن عمران
والياس قد ظهرا لهم ، وجاءت سحابة فأظلمت . فأما الذين كانوا معه
فوقع عليهم النوم فناموا » (١٠) . وهذا الفصل الذى نقله لوقا دليل
على رفع المسيح وحمايته من أعدائه اليهود ، خذلهم الله تعالى / ١/٣١

الحجة الرابعة على حماية الله نبيه المسيح ، قول الانجيل « الذى
اخذ كانت قد غيرت هيئته ، وشوهدت صورته وسيق ذليلا ، وتوج من
الشوك اكليلا ، وألبس أرجوانا ، وألبس هوانا ، وجذب وسحب ، وضرب

(٨) متى ، ح ٢٦ ، عد : ٦٣ ، ٦٤

(٩) لوقا ، ح ٢٢ ، عد : ٦٧ ، ٦٨

(١٠) لوقا ، ح ٩ ، عد : ٢٨ - ٣١

ونزعت أثوابه وسلب ، وحمل خشبته التى عليها صلب ، واعنف به الى
من سجنه فركب وما ركب « (١١) . وقد شهد لوقا فى صدر انجيله أن جبريل
بشر مريم والدة المسيح بأن الله يجلس ولدها على كرسى داوود / ويملكه على ٣١/ب
بيت يعقوب الى الأبد « (١٢) . وقول جبريل حق ، وخبر الله صدق .
فلو قلنا ان المهان المصلوب هو المسيح للزم بطلان تلك البشارة الصادقة .

الحجة الخامسة : حكى يوحنا التلميذ فى انجيله : « أن الذين
فبضوا على المأخوذ من بستان بواضى الأردن ، خرج اليهم فقال : من
تريدون ؟ فقالوا : يسوع . وقد خفى شخصه عنهم ، فجعلوا يكثرون
السؤال ، وهو يعيد الجواب « (١٣) ، وذلك دليل التشبيه ، اذ انكروا
وجهه وهو الناشئ بين أظهرهم ، / والمرى بين جماعتهم . ١/٣٢

الحجة السادسة : قال لوقا فى انجيله : « صاحب المسيح رجلين من
اورشليم يطلبان قرية يقال لها عمايوس ، بعد قيامه . فتبعهما ومباشهما ،
وكانت عيونهما ممسوكة عن معرفته . فلما كلمهما عرفاه « (١٤) .
وذلك دليل على تغير الحال . وكيف يتغير حاله على رفقته فى الطريق
وعلى تلاميذه فى الجليل لولا وقوع الشبه ؟ وقال لوقا « بينا التلاميذ
فى غرفة لهم اذ وقف المسيح / فى وسطهم فلم يعرفوه ، والتمس منهم ٣٢/ب
شيئا يأكله فاطعموه شيئا من حوت وشيئا من شهد العسل « (١٥) .
واذا خفى شخصه عن تلاميذه فكيف عرفه اليهود حتى قتلوه ؟

الحجة السابعة : قال يوحنا « وقف المسيح على تلاميذه وهم يصيدون
السمك ، فقال : يا فتيان ، هل عندكم من طعام ؟ فلم يعرفوه ، وقالوا :
لا . فقال : القوا الشبكة من الجانب الأيمن ، ففعلوا ، فكانت تخترق
من السمك ، وحينئذ عرفوه « (١٦) . وذلك فى الانجيل كثير / ١/٣٣
الحجة الثامنة : قال لوقا « دخل جبريل على مريم بالاناصرة وبشرها

(١١) راجع متى ، ج ٧ ، عد : ٢٧ - ٣١

(١٢) لوقا ، ج ١ ، عد : ٢١ ، ٢٢

(١٣) يوحنا ، ج ١٨ ، عد : ٤ - ٨

(١٤) لوقا ، ج ٢٤ ، عد : ١٣ - ٣٢

(١٥) لوقا ، ج ٢٤ ، عد : ٣٦ - ٤٢

(١٦) يوحنا ، ج ٢١ ، عد : ١ - ٨

بأن ولدها المسيح يكون ملكا لبني اسرائيل ، ويجلس على كرسى ابيه داوود «(١٧) . فكيف يزعم النصارى انه خلف هذا الوعد ، وكذب جبريل في خبره ، ولم يتجز فيه حرف واحد ، بل جرى نقيضه ، فأخذ وأشجر وأخرج منه وظفر على راسه اكليل من الشوك والبس لباسا احمر ، وجعل في يده قصبه وحملوا صليبه على ظهره ، وجثوا على الركب يهزأون به ، فكيف يصح / هذا النقل والله تعالى يخبر على لسان جبريل انه يكون في ارفع الدرجات . هيهات هيهات كذب من ادعى قتل المسيح ، وغلط غلطا لا خفاء به .

وقد جاء في قصة القتل والصلب ما يوجب رده ، ويقتضى ابطاله ، ويخرم الثقة به ، وهو ان اليهود جاءوا الى المسيح فسألوه ان يريهم آية فقال : الجيل الشرير الفاسق يسأل آية ، ولا يعطى الا آية يونان النبی ، لأن يونان كما اقام في بطن الحوت ثلاثة ايام وثلاث ليليات / كذلك ابن الانسان يقيم في بطن الأرض وقلبها ثلاثة ايام وثلاث ليليات «(١٨) ، فاخبر ان ابن الانسان يدفن في الأرض ، فيقيم في بطنها وقلبها هذه المدة . وقد نظرنا في الانجيل ، فوجدنا هذا الخبر كذبا غير صحيح ، وهو ان جماعة من مدوني الانجيل قالوا ان المأخوذ صلب يوم الجمعة ، ودفن ليلة السبت ، والتمس في قبره ليلة الأحد فلم يوجد . وقيل صلب يوم الأحد بغلس فلم يوجد . فاذا كان هذا نص الانجيل ، فلم يبق في بطن الأرض وقلبها الا يوما واحدا وليلة او ليلتين ، / وذلك مما يخرم الثقة بصحة الصلب والقتل جملة (كافية) (١٩) .

فهذه نصوص الأناجيل مصرحة بحماية الله نبيه المسيح من كيد اعدائه ، ووقوع الشبه على رجل شغلهم الله به عنه ، صلى الله عليه وسلم ، وعلى اخوانه من النبيين . فليتدبرها من وقف على هذه المسائل ، ويدع عنه التقليد واتباع الأباطيل بغير دليل ، والله الموفق .

(١٧) لوقا ، ح ١ ، عد ٢١ ، ٢٢

(١٨) مرقس ، ح ٩ ، عد : ٣١

(١٩) « كافية » كلمة مثبتة في الأصل ، والسياق واضح بدونها .

المسألة الرابعة : فى ابطال دعوى الثالث

فنقول : زعم النصارى ان معبودهم عبارة عن ثلاثة اقانيم ، وهى
اقنوم الوجود / واقنوم الحياة واقنوم العلم . واول ما يفتحون به ان
يقال لهم : ما دليلكم على حصر الاقانيم فى ثلاثة ؟ وبهم تنكرون على
من يرى انها اربعة ، ويزيد اقنوم القدرة ، فيصير الثلاث تريبا ؟ فان
قالوا لا حاجة فى ذلك ، اذ فى اقنوم العلم مندوحة عنه ، فنقول :
لا نسلم لكم صحة ذلك ، فمن اين يلزم من حصول العلم حصول القدرة .
ولو استلزم اقنوم العلم اقنوم القدرة لاستلزم اقنوم الحياة اقنوم
العلم . فقد يكون الواحد منا عالما ولا يكون قادرا . وحد / العلم ١/٣٥ ب
الكشف ، وحد القدرة الاختراع والايجاد . فلا يلزم من معرفة الشيء
ايجاده ، كما لا يلزم من الحى ان يكون عالما ، فكذلك لا يلزم من العالم
ان يكون قادرا .

وكما يستلزم فقدان العلم وجود ضده وهو الجهل ، فكذلك
فقدان القدرة وجود ضدها وهو العجز . وقد اوجد الله تعالى
العالم بعد ان لم يكن ، وذلك اثر القدرة ، لا اثر العلم . وقد
كان العلم حاصل له تعالى قبل الايجاد ، فقد وجب وصفه
تعالى بالقدرة لما قررناه ، فاذا / وجب وصفه بالارادة ، اذ حظ ١/٣٦
القدرة الاختراع ، وحظ الارادة التخصيص بالمقادير والاشكال والازمان
والاحوال . واذا ثبت وصفه تعالى بالقدرة والارادة لما قررناه ، بطل
القول بالتثليث ، وتعين وصفه تعالى بانه واحد حى عالم قادر مريد
سميع بصير متكلم . وبهذه الصفات الدالة على ابطال الثالث نطقت
كتب القوم ، فهى موجودة فى التوراة والانجيل والمزامير ، على
التفاريق (١) ، يعرف ذلك / من طالع كتبهم ووقف على صحتهم ١/٣٦ ب
ونحن نقسم القول عليهم فنقول :

(١) « على التفاريق » أى متفرقة فى تلك الكتب .

هل تثبتون الالهية لكل واحد من الأقانيم الثلاثة أم تزعمون أن الجميع اله واحد أم تقولون أن الاله واحد منهم والباقي صفات له ؟ فان ارادوا الأول ، قلنا : اثبتون كل واحد من التثليث اله حقيقة أو مجازا ؟ فان ادعوه حقيقة ، قلنا لهم : اتجاوزون خلو الاله الحقيقي عن الحياة والعلم أم لا ؟ فان قالوا نعم : قلنا : / فلا حاجة الى

١/٣٧

الأقانيم ، اذ الاله مستغن عنها . فان قالوا : لا بد للاله أن يكون حيا عالما . قلنا : فيجب وصف كل واحد من الأقانيم بالحياة . وحينئذ يصير التثليث تسبيعا ، اذ حياة كل واحد من الأقانيم وعلمه قنومان له . ثم كل واحد من الأقانيم التسعة ان كان اله مجازا لم يصلح للالهية ، وان كان اله حقيقيا وجب أن يكون حيا عالما ، وتسلسل الى غير نهاية . فهذا خلاف ما عليه أهل الكتاب قاطبة . وفيه خروج عن

٣٧/ب

التوراة والانجيل / والمزامير والنبوات وسائر كتب الله ومراغمة القول (٢) لقول المسيح في الانجيل حيث سئل : « ما أول الوصايا كلها ؟ فقال : أول الوصايا كلها : اسمع يا اسرائيل ، الرب الهنا واحد » (٣) . وسئل عن يوم القيامة فقال : لا يعلمها الا الله الواحد » (٤) . وقال : « اني ذاهب الى الهى والهكم » (٥) . فشهد في كل انجيله بأن الله تعالى واحد . وان قالوا : بل الاله الحقيقي واحد » (٣) . وسئل عن يوم القيامة فقال : « لا يعلمها الا الله يعبدون / مع الاله الحقيقي من ليس باله حقيقى . وان ارادوا الثانى ، وهو أن الجميع اله واحد ، وان كل واحد على انفراده ليس ياله » (٦) ، تركوا القول بالتثليث ايضا ، وخالفوا الأمانة ،

١/٣٨

(٢) « ومراغمة القول لقول المسيح » أى : مناقضة قولهم لقول المسيح .

(٣) لوقا ، ح ١٢ ، عد : ٢٨ ، ٢٩

(٤) متى ، ح ٢٤ ، عد : ٣٦

(٥) يوحنا ، ح ٢٠ ، عد : ١٧

(٦) « ليس باله » جملة غير موجودة فى الأصل ، اضفناها ليتضح

المعنى ، ولعلها كانت موجودة فى الأصل ولكنها سقطت سهوا من الناسخ .

حيث يقولون فيها : ان الأب اله واحد وان الابن اله واحد وان روح القدس اله واحد ، وأفسد صلاتهم ، حيث يقرأون فيها : الملائكة يمجدونك ، وابنك نظيرك فى الابتداء ، وروح القدس مساويك فى الكرامة . وان ارادوا الثالث / وهو ان الاله واحد منها والمزائد عليه ٣٨/ب صفات له ابطالوا الثالث أيضا ووافقوا المسلمين فى ان الاله تعالى واحد ، وله صفات من العلم والقدرة والارادة والحياة والسمع والبصر والكلام ، وأن شيئاً من الصفات ليس باله ، وانما الاله ذات موصوفة بهذه الصفات ، وفسدت عليهم الأمانة ، حيث جعلت الأب الها والابن الها ثانيا وروح القدس الها ثالثا ، فقد بطل الثالث على كل قسم من الأقسام .

بأيدي النصارى يومنا هذا

اعلم ان الكتاب الذى بأيدي النصارى قد اشتمل على تناقض عجيب وتعارض ظاهر وتكاذب لا يخفى على متأمل . وقد ذكرت فى كتابى الملقب « بتخجيل من حرف الانجيل » من ذلك جملة كثيرة . وانا اقتصرنا ههنا على لمعة تدل من تأملها على تخليط القوم فيما نقلوه وفساد ما اعتقدوه من ذلك وتعقلوه . ولو صرح بذلك لخرم الوثوق بجملة الكتاب الذى بأيدي القوم اليوم / ب ٣٩

فمن ذلك ان لوقا حكى فى صدر انجيله « ان جبريل حين بشر مريم أم المسيح به فقال لها : انك ستلدن مولودا يجلسه الرب على كرسي داوود ويملك على بيت يعقوب الى الأبد ولا يكون للملكه انقضاء » (١) . واكذبه اصحابه من نقلة الانجيل ، فقالوا ان هذا الموعود من الله على لسان جبريل اخذه اليهود واهانوه وضربوه ثم قتلوه شر قتلة وصلبوه ، ولم يملك على اليهود ، ولا جلس على كرسي داوود ، وذلك تكاذب قبيح .

موضع آخر فى التناقض / والفساد : حكوا ان يوحنا المعمدان (٢) . أحد نقلة الانجيل ، قال : « قال المسيح : انى لو كنت انا الشاهد لنفسى لكنت شهادتى باطلة ، ولكن غيرى يشهد لى انه ارسلنى » (٣) . وقد قالت توراتكم « ان شهادة رجلين صحيحة » (٤) . فانظر هداك الله ، ما افسد هذا الكلام واقربه من كلام المجانين والمغفلين . وذلك

(١) لوقا ، ح ١ ، عد : ٢٦ - ٣١

(٢) كذا فى الأصل ، ولعلها « الزيدانى » لانه أحد نقلة الانجيل أما يوحنا المعمدانى ، فهو يحيى عليه السلام وليس من نقلة الانجيل ، بل قتل قبل ان يعلن عيسى عليه السلام رسالته .

(٣) يوحنا ، ح ٥ ، عد ٣٢ - ٣٦

(٤) سفر التثنية ، ح ١٩ عد : ١٥

انهم جعلوا الله تعالى رجلا وجعلوا شهادة المسيح لنفسه تقوم مقام شهادة شاهد ، بعد قوله : لو كنت أنا الشاهد لنفسى لكانت شهادتى باطلة » . والتوراة تقول ان شهادة رجلين صحيحة . واذا كان السيد / ٤٠ ب / المسيح وحواريوه منزهيين عن فاسد الكلام فلنلزم به جانباً ، ولنعلم انه ليس من الانجيل بسبيل .

موضع آخر ، قال يوحنا الانجيلي : « ان يوحنا المعمدانى ، حين رأى المسيح قال : هذا خروف الله الذى يحمل خطايا العالم ، وهو الذى قلت لكم انه يأتى بعدى وهو اقوى منى وان بيده الرفق ينقى ببيدرته جميع الحنطة ويجمعها الى اهرائها (٥) ، وينحرق الأتبان بالنار التى لا تطفأ » (٦) . وخالفه متى فقال : « ان المعمدانى ارسل وهو فى السجن الى المسيح فقال : انت الآتى او ننتظر غيرك » (٧) . وذلك / تناقض ظاهر ، لأن أحدهما حكى عن المعمدانى أنه هو ولم يتردد وأن الآخر حكى أنه شك فيه ولم يعرفه حتى ارسل فسأله . وأما مرقس فاعفل ذلك ولم يذكره . واذا أغفله فما يؤمن ان يكون قد أغفل ما هو أهم منه ؟ فكيف يكون ذلك من الانجيل ولا يذكره ؟ وان لم يصح عند مرقس فذلك طعن على من نقله .

موضع آخر : ذكروا عن متى « ان المسيح صلب وصلب معه لسان ، أحدهما عن يمينه والآخر عن شماله ، وأنهما كانا يهزان بالمسيح مع اليهود ويسخران / منه » (٨) . وذكر لوقا خلاف ذلك ٤١ ب / فقال : « ان أحد اللصين كان يهزا بالمسيح ويسخر منه مع اليهود والآخر يقول له : اما نحن فجوزينا بعدل وأما هذا الصديق فلم يعمل قبيحا . ثم قال للمسيح : اذكرنى يا سيدى فى الملكوت . فقال

(٥) « ينقى ببيدرته ... أهرائها » : فى الأصل : « يبقى ببيدرته بجميع الحنطة الى أهرائها » ولعله خطأ من الناسخ .

(٦) يوحنا ، ح ١ ، عد ٢٩

(٧) متى ، ح ١١ ، عد ٣

(٨) متى ، ح ٢٧ ، عد ٣٨ - ٤٤

المسيح : حقا انك تكون معى فى الفردوس «(٩) . وذلك تكذيب لقول متى : ان اُحد اللصين كان كافرا يهزأ بالمسيح ، وذلك تكاذب قبيح .

١/٤٢ موضع آخر : ذكر لوقا « ان المسيح قال : انى لم آت لأهلك / نفوس الناس ولكن لأحيى »(١٠) وخالفه الآخر فقال : « قال المسيح : انى لم آت لألقى على الأرض سلامة ما جئت عليها لألقى سلامة لكن سيفا ، واضرم بها نارا »(١١) . وذلك تناقض عظيم . نحن والحمد لله ننزه المسيح عن هذا القول المضطرب ، ونؤرك(١٢) على من نقل ذلك من المتأخرين .

وحاصل هذا الكلام ان احدى الروايتين تجعله جاء رحمة للعالمين ، والآخرى تقول : كلا ، ولكن نقمة على الخلائق أجمعين .

٤٢/ب موضع آخر : / ذكر متى « ان مريم خادمة المسيح جاءت لزيارة قبره عشية السبت ومعها امرأة أخرى فرأت ملكا نزل من السماء فقال لها : لا تخافى ، اعرف انك جئت تبحثين عن عيسى المصلوب ، انه ليس ههنا(١٣) ، قد قام من بين الأموات ، وهو يسبقكم الى الجليل ، فمضتا مسرعتين واذا المسيح قد ظهر لهما وقال : لا بأس عليكما ، اذهبا وقولا لاختوتى يسبقونى الى الجليل »(١٤) . وخالفه يوحنا فقال : « انما جاءت مريم وحدها يوم الأحد بغلس ، فرأت الحجر قد قلح من فم القبر ، فرجعت الى شمعون الصفا وتلميذ آخر فقالت : ان المسيح قد أخذ من تلك / المقبرة ، ولا ادري أين دفن . فجاء شمعون وصاحبه فابصرا الأكفان موضوعة ناحية من القبر فرجعا

١(٩) لوقا ، ح ٢٣ ، عد ٣٢ ، ٣٩ - ٤٤

١(١٠) راجع يوحنا ، ح ١٠ ، عد ١٠ ، ٢٨

١(١١) متى ، ح ١٠ ، عد ٣٤

١(١٢) « ونؤرك » كذا فى الأصل ولعل معناها : نسخر منهم ، أى ممن نقل ذلك منهم .

١(١٣) « لا تخافى ههنا » : فى الأصل : « لا تخافى فليس فيها ههنا » ولعله خطأ من الناسخ .

١(١٤) متى ، ح ٢٨ ، عد ١ - ١١

وجلست مريم تبكى عند القبر . فبينما هى كذلك اطلعت فى القبر
 فرائت ملكين جالسين حيث كان جسد يسوع ، عليهما ثياب بيض
 فقالا لها : ما يبكيك ؟ فقالت : أخذوا سيدي ولا أدري أين وضعوه .
 فبينما هى كذلك التفتت فرائت المسيح ولم تعرفه وحسبته حارس البستان ،
 فقالت له : بالله ان كنت أخذته فقل لى أين وضعته حتى أذهب اليه .
 فناداهما : يا مريم ، فعرفته ، وقالت له بالعبرانية : ريونى / تفسيره : ٤٣/ب
 يا معلم . فقال لها : انى لم أصعد بعد . اذهبي الى اخوتى وقولى :
 انى منطلق الى ابنى وابيكم والهى والهكم ، وذهبت وبشرت بذلك
 تلاميذه « (١٥) » .

قال المؤلف : هذا نقل يكذب بعضه بعضا . وذلك ان أحدهما
 يقول ان الملك هو الذى أرسل مريم الى التلاميذ ، والآخر يقول ان المسيح
 هو الذى أرسلها . وأحدهما يقول ان مريم جاءت الى القبر عشية
 السبت والآخر يقول : لا ، بل يوم الأحد باكرا . وأحدهما يحكى / ٤٤/أ
 عن مريم وحدها والآخر يحكى عن اخرى معها . وهذا الفصل حرى
 ان يسطر فى أخبار المغفلين والعجائز المتكلمين . وبعد يرحمك الله
 متى سمع العقلاء برب يصفع ويضرب ويقتل ويصلب ويدفن فى المقابر
 فيبكي عليه ويندب وتعتريه نقائص الانسان ويشته على من رآه بحارس
 بستان ؟ فلو ان اليهود نصبوا جماعة من المجان للسخرية بدين
 النصرارى والازراء بهم ما بلغوا منهم ما بلغوا من انفسهم ، وهذا
 كما قيل :

ما يبلغ الأعداء من جاهل . ما بلغ الجاهل من نفسه / ٤٤/ب

وفى موضع آخر من انجيله : « ان الكلمة صارت جسدا وحل
 فينا » (١٦) ، ويلزم من ذلك أن يكون المقتول المصلوب هو الله تعالى
 الله عن كفرهم علوا كبيرا .

(١٥) يوحنا ، ح ٢٠ ، عد ١ - ٨

(١٦) يوحنا ، ح ١ ، عد ١٤

موضع آخر يُقرب من الجنون : رويدا عن يوحنا الانجيلي : « أن المسيح أخذ خبزا فكسر وأعطى تلاميذه وقال : هذا لحم جسدي فكلوه ، ثم أخذ كأسا وقال : هذا دمي فاشربوه ، لأن جسدي مأكّل حق ودمي مشرب حق ، ومن يأكل لحمي ويشرب دمي يثبت في ١/٤٥ وأثبت فيه . فلما سمع / التلاميذ هذا الكلام قالوا : ما أصعبه ، من يطبق هذا الكلام ؟ فرجع كثير عن صحبتته » (١٧) . وهذا الكلام ان حمل على ظاهره ولم يتأول فهو هوس ، والسيد المسيح محاشى عنه . والكلام على الشيء بالرد او القبول فرع كونه معقولا ، والبحث عن النكيل (١٨) لا يجيء الا ركيكا .

وإذا كان في الأنابيب خلف وقع الطيش في رؤس الصعاد ولا شك أن العقلاء من النصارى اليوم لو جمعوا بين قوله ان الله هو الكلمة ، وان الكلمة صارت جسدا ، وانه أمرهم ان يأكلوا ذلك ٤٥/ب الجسد ويشربوا دمه / لنفروا من دين النصرانية نفرة حمر الوحش رات قسورة . ولكن قلوبهم في أكنة عن تدبر الحقائق .

موضع آخر : قال متى « كان يوحنا المعمدانى لا يأكل ولا يشرب » (١٩) . وأكذبه أصحابه فقالوا : « كان طعام يوحنا هذا الجراد وعسل البر » (٢٠) ، وهذا من أفحش مراتب الكذب . تكاذب الانجيل والمزامير ، قال النصارى : قال داوود في مزموره : « قال الرب لربى

(١٧) لم أعتز على الجزء الأول من هذا النص في يوحنا ، لكن النص بأكمله موجود في الأناجيل الثلاثة الأخرى ، راجع : لوقا : ٢٢ : ١٩ ، ٢٠ . مرقس : ١٤ : ٢٢ - ٢٤ . متى : ٢٦ : ٢٦ - ٢٨ . راجع بالنسبة للجزء الثانى من النص ، ابتداء من قوله : « لأن جسدي مأكّل حق . الخ » يوحنا : ٦ ، عد : ٥١ وما بعده . (١٨) « النكيل » : كذا في الأصل ، ولعلها « الركيك » ليكون المعنى : والبحث عن الركيك لا يكون الا ركيكا ، فيتفق مع البيت الآتى بعده .

(١٩) راجع متى ، ح ١١ ، عد ١٨
(٢٠) متى ، ح ٣ ، عد ٤ ، مرقس ، ح ١ ، عد ٦

اجلس عن يميني «(٢١) ، فاعتقدوا بذلك / ان المسيح رب داوود ، ١/٤٦
ورب كل شيء ، وذلك مكذب بقول لوقا : « قال جبريل لمريم : ستلدين
ابنا يجلسه الله على كرسى أبيه داوود »(٢٢) فجبريل يخبر عن الله
تعالى ان المسيح ابن داوود ، فكيف تقولون : لا ، ولكنه رب داوود ؟
ونعوذ بالله من الخذلان والملعب بالأديان .

موضع آخر : قال متى : « لما حمل يسوع الى فيلاطس القائد ،
قال : اى شيء عمل هذا ؟ فقالوا : اصلبه . فلما رأى ان لا بد لهم
من قتله ، أخذ ماء وغسل يد يسوع وقال : أنا بريء من دم هذا
الصديق وانتم ابصر »(٢٣) . وكذب ذلك يوحنا وقال : « لما حمل
يسوع الى القائد / فيلاطس قال لليهود : ما تريدون من هذا ؟ ١/٤٦
فقالوا : نصلبه ، فضرب يسوع وجلده وسلمه اليهم »(٢٤) . فهذا
أحد التلاميذ يخبر ان القائد احترامه وغسل يده ، والآخر يقول : كلا ،
ولكن أهانه وجلده .

موضع آخر : قال يوحنا : « ان المسيح لما حمل الى رئيس الكهنة
اليهود موثقا وسأله عن حاله وما يدعو اليه ، فنصح بمعاذيره بين
يديه ، قام اليه رجل من الجند فلطمه على خده الايمن وقال : أهكذا
تحادث عظيم الكهنة ؟ قال يسوع : ان كنت قلت / رديا فاشهد ١/٤٧
بالردى ، وان كنت قلت خيرا فلم تضربنى » ؟(٢٥) . وهذا تكذيب
لقول لوقا فى صدر انجيله : « ان المسيح يكون ملكا على بنى اسرائيل ،
جالسا على كرسى أبيه داوود الى الأبد »(٢٦) ولم يقل انه يحمل
فى القيود الى اليهود .

(٢١) مزمو ١١٠ ، عد ١

(٢٢) لوقا ، ح ١ ، عد ٣٠ - ٣٢

(٢٣) متى ، ح ٢٧ ، عد ٢٢ - ٢٥

(٢٤) يوحنا ، ح ١٨ ، عد ٣١ ، ح ١٩ ، عد ١ ، ٢

(٢٥) يوحنا ، ح ١٨ ، عد ١٩ - ٢٣

(٢٦) لوقا ، ح ١ ، عد ٣٠ - ٣٢

موضع آخر فى غاية التناقض : قال لوقا : « قال المسيح : من ليس معه سيف فليبيع ثيابه وليشتر له سيفاً » (٢٧) . واكذبه الباقون ٤٧/ب فقالوا : « قال المسيح : لا تقابلوا الشر بالشر ، ولكن من لطمك على خدك الأيمن فحول له الآخر ، ومن أراد ثوبك فزده ازارك ، ومن سخرك ميلاً فامض معه اثنين » (٢٨) . ولما خرج اليهود لأخذه جرد شمعون الصفا سيفه فانتهره المسيح وقال : اردد سيفك الى غمدته ، فان من أخذ بالسيف هلك بالسيف » (٢٩) . وذلك مما يوهى نقلهم عنه انه أمر ببيع الثياب وشراء السيوف .

ولنقتصر على هذه النبذة من اظهار تناقض كتابهم ، فقد طولت النفس فى الكتاب الكبير (٣٠) فليبدوا لنا وجه الجمع فى هذه الأقاويل المروية عن الانجيل ، والله المستعان .

(٢٧) لوقا ، ح ٢٢ ، عد ٣٦ - ٤٠
(٢٨) متى ، ح ٥ ، عد ٣٨ - ٤١ ، لوقا ، ح ٦ ، عد ٢٧ - ٣٠
(٢٩) متى ، ح ٢٦ ، عد ٥١ - ٥٢
(٣٠) الكتاب الكبير الذى يشير اليه هو كتابه : « تخجيل من حرف الانجيل » وقد اشار اليه مرارا فى صلب هذا الكتاب .

اعلم ان فى اثبات نبوة المسيح ارغاما لليهود [والنصارى] (١)
 جميعا ، وذلك أن الطائفتين فى المسيح طرفا نقيض . أما اليهود - أبعدهم
 الله - فانهم يرمونه بالكذب والسحر والذيرنجيات واستسجار الشياطين فى
 اغراضه ومآربه ، فقالوا : انه لا تخرج الشياطين من الآدميين ، الا أنه
 سخر رئيس الشياطين . وزعموا أنه لم يحيى ميتا قط ، ولا أبرأ يوما ذا علة
 قط ، ولكنه واطأ على ذلك بعض المتحيلين ، فتماوت ، وواطأ آخر
 فتقاعد حتى صار فى صورة الزمن / مدة حتى تعقدت رجلاه ، ثم مر به ١٨/٤٨ ب
 كأنه لا يريد ، ثم ناداه : اشفى يابن داود ، فتناول يده فأقامه بعد
 أن عرف بالقعود مدة على الطريق يستعطى من الناس . واستبعد آخرون
 هذه المخاريق فقالوا : بل نطقت معرفته بالطب حتى نفذ فيه نفوذا أرى
 فيه على أساطين الحكمة من الأطباء واليهود بأجمعهم ، وينسبونه الى بنوة
 الزنا ، كما شهد بذلك الانجيل ، حيث يقول اليهود فى المحاورة والمناظرة :
 وأما نحن فليس لنا مولود من زنا .

وإذا نحن اثبتنا معجزاته وآياته فكلما أبدوه من القوادح فى طريق
 ثبوتها انعكس مثلها / عليهم فى اثبات نبوة موسى عليهما السلام . وكل ١٨/٤٩
 سؤال انعكس على مورده فهو باطل من أصله .

أما النصارى فانهم مجمعون على الهية المسيح واعتقاد ربوبيته وأنه
 الاله الذى خلق العالم وجبل بيده طينة آدم . فاذا اثبتنا نبوته وأوضحنا
 رسالته عرف ان الاله غيره وأن الرب سواه . ونحن نوضح ذلك من أقوال
 المسيح فى الانجيل وأقوال أصحابه وتلاميذه الذين شاهدوه وسمعوا كلامه ،
 بعون الله تعالى .

(١) « والنصارى » كلمة غير موجودة فى الأصل ، أضفناها لأنها

ضرورية لتمام المعنى ، كما هو ظاهر .

٤٩/ب قال يوحنا / : « قال المسيح لتلاميذه : من قبلكم واكرمكم فقد قبلني وآواني ، ومن قبلني فقد قبل من أرسلني ، ما من عبد أفضل من سيده » (٢) . فهذا يوحنا صاحب المسيح يخبر أنه لم يدع سوى الرسالة ، ويذكر أن الله غيره وأن الرب سواه وأنه سفير بين الله وخلقه ويذكر أنه عبد وأن الله سيده .

١/٥٠ فان قالت النصارى : انما أراد بقوله : ما من عبد أفضل من سيده أنه سيد الحوارين وهم عبيده ، قلنا لهم : كذبتهم ، فانه ما ناداهم قط الا اخوته في سائر الانجيل / فقال له قائل : « اخوتك بالباب ، فأشار بيده الى أصحابه وقال : هؤلاء اخواني » (٣) .

وقال له رجل : « ياسيد ، فقال : لست ادعوكم عبيدا ، بل انتم اخوتي » (٤) . وقال لمريم : « قولى لاختوتى يسبقونى الى الجليل » (٥) . فالمسيح يقول انه رسول من الله ، والنصارى تقول بل هو الله ، ويقولون انه عبد ويعتقدون أنه رب . لقد تباعد ما بينهم وبين المسيح .

٥٠/ب شهادة أصحاب المسيح له بالنبوة : قال متى فى انجيله : « لما دنا المسيح وأصحابه من اورشليم ، ارسل من جاءه بأتان وجحش / فركب وفرش الناس له ثيابهم وارتجت المدينة لدخوله ، فقال الجميع : هذا يسوع النبى الذى من ناصرة الجليل » (٦) .

قال المؤلف : وجه الدلالة من ذلك شهادتهم له بالنبوة وعدم الانكار عليهم ، وذلك رضا بما يقولون . وكيف يسمع آلافا من الناس يشهدون انه النبى الآتى من الناصرة ويقرهم على ذلك ولا تقوم به الحجة ؟ أفيظن متأخرو النصارى يومنا هذا أنهم أعلم بالمسيح ممن رآه وشاهده وصحبه ؟ فترك الانكار عليهم محض الرضا بما يهتفون به / ١/٥١

(٢) يوحنا ، ح ١٢ ، عد ٤٤ ، ح ١٣ ، عد ١٦

(٣) متى ، ح ١٢ ، عد ٤٦ - ٤٩

(٤) متى ، ح ٢٣ ، عد ٨

(٥) متى ، ح ٢٨ ، عد ١٠

(٦) متى ، ح ٢١ ، عد ١ - ٩

نوع آخر : قال لوقا فى انجيله : «^١ صاحب يسوع رجلين بعد قيامه ، وهما يتحدثان فى شأنه وشأن اليهود ، وكانت عيونهما ممسوكه عنه . فقال لهما : من تذكران ؟ فقالا : يسوع الناصرى ، كان رجلا نبيا قويا بالأعمال . فآقرهما ولم ينكر عليهما وسار معهما الى قريتهما فاضافوه ويات عندهم » (٧) وذلك دليل على نبوته عليه السلام . والا ، كيف يسمع نطقهما بما لا يجوز ولا ينهرهما ويرشدهما ؟ فطالما كان يخزى اليهود فى المناظرات / ويلعنهم فى المجالس صريحا وذلك فيما لا تعم به البلوى ، ٥١/ب وهو اذ ذاك فى حال خوفه وتوقيه ، فكيف يحاشى الرجلين ويسمح لهما ان يعتقدا نبوته وهو فى زعم النصارى ربهم وخالقهم ، ويؤخر البيان عن وقت الحاجة ، وهى فى الساعة التى أزمع فيها مفارقة أهل الأرضين والصعود الى السماء ، وقد صار لهما مع العبودية حق الرفقة والمباينة ، وهو يسمحهما يقولان : ان يسوع المسيح كان نبيا قويا بالأعمال ، والمداهنة والتقية فى الدين غير / جائزة ، لا سيما من مثل المسيح عليه السلام ؟ ٥٢/أ فكيف لم يرض النصارى للمسيح بما رضى به لنفسه من خيار أهل زمانه ؟ دليل على نبوة المسيح عليه السلام : قال متى : «^٢ جاء الى يسوع الرؤساء من الكهنة فقالوا له : «^٣ بأى سلطان تفعل هذا الذى تفعل ؟ وهن اعطاك هذا السلطان ؟ فقال : اخبرونى عن معمودية يوحنا ، من أين هى ؟ أمن الله ام من الناس ؟ فخافوا ان يقولوا هى من الناس ، لأن يوحنا عند الناس مثل نبي من الأنبياء / . وجه الدلالة أنه سوى بين نفسه وبين يحيى بن زكريا .

دليل آخر على نبوته عليه السلام : قال متى «^٤ قال رجل للمسيح : يا معلم ، ائما اعظم الوصايا كلها فى الناموس ؟ فقال : اعظم الوصايا كلها فى الناموس ان تحب الرب الهك من كل قلبك ، ومن كل نفسك ، ومن كل فكرك ، ومن كل قوتك ، ففى هذا جميع النبوات معلقة » (٨) . وهذا دأب

(٧) لوقا ، ح ٢٤ ، عد ١٣ - ٣٥

(٨) متى ، ح ٢٢ ، عد ٣٧

الأنبياء يدعون الخلائق الى عبادة الله وتوحيده ومحبته ، فإين جواب
١/٥٣ المسيح من / اعتقاد الثلاث والهذيان الذى يعتقده النصارى فيه اليوم ؟

دليل صحيح على نبوة المسيح : قال متى : « قال يسوع المسيح
وهو يخاطب البلد : يا اورشليم ، يا قاتلة الانبياء وراجمة المرسلين
اليها : كم مرة أردت أن أجمع بنيك من حولك كما تجمع الدجاجة
فراخها فلم يريدوا » (٩) . ووجه الدلالة من هذا الكلام أنهم كانوا يتوثبون
على المسيح بأورشليم ، وهى بيت المقدس ، يريدون قتله كما قتلوا الانبياء
ب/٥٣ بها والمرسلين ، اذ كان / يفحهم بالحجج ، ويظهر عليهم فى المناظرات ،
فربما تناولوا الحجارة ليرجموه . فكأنه يقول : تريدون قتلى كما قتلتم
الانبياء قبلى ؟ والخطاب للبلدة والمراد أهلها . والقول بنبوته الزم وأظهر
على اعتقاد النصارى ، لأنهم يزعمون أنه قتل بأورشليم ، وهى البيت
المقدس ، فان كان الأمر كما قالوا فهو نبي لا محالة لأنه قال : يا قاتلة
الانبياء ، ولم يقل : يا قاتلة الاله . وفى الكلام ما يمنعهم من اعتقاد ربوبيته ،
١/٥٤ لأنه أراد جمعهم على الايمان فلم تنفذ ارادته ، ومن لا تنفذ / ارادته ومشيئته
فلا يصلح للربوبية . والعجب أنه أراد جمعهم وأراد اليهود الا يجتمعوا
فنفذت ارادتهم دون ارادته . واله تقصر ارادته وتنفذ ارادتهم دون ارادته ،
وهم عبيده ، اله ضعيف . وهذا ، فاعلم ، حال الانبياء مع كفار
قومهم ، فلو أن النصارى جمعوا بين قولهم للبلد : يا قاتلة الانبياء ، وبين
دعواهم أنه قتل بها ، لم يسعهم الا القول بنبوته ولكن افهام القوم بعيدة
عن هذا النمط ، قريبة من السقط والغلط ، الا تراهم كيف جمعوا فى
ب/٥٤ اعتقادهم / بين الاضداد فقالوا فى تسبيحة : نؤمن بالرب يسوع
المسيح الذى خلق كل شئ ، واتقن العوالم بيده ، وقتل وصلب ايام
هيرودس . ؟ فبينما هم ينعنون بالرب المجيد اذ وصفوه بذل ما عليه
مزيد .

دعوى المسيح عليه السلام بنبوته صريحا وشهادة اشعياء له بالرسالة :
 قال لوقا : « جاء يسوع الى الناصرة حيث تربى ، ودخل فى مجامعهم
 يقرأ كعادته فدفع له سفر اشعياء النبى عليه السلام ، فلما فتحه اذا فيه :
 روح الرب على ، من اجل هذا مسحنى وازسلى / لأبشر المساكين واشفى
 ١/٥٥ منكسرى القلوب وأبشروا المساكين بالتخلية والعميان بالنظر وأبشروا بالسنة
 المقبولة ، ثم طوى السفر ودفعه للخادم ، فجعلوا ينظرون اليه ويقولون :
 اليس هذا ابن يوسف ؟ فقال : الحق أقول لكم : انه لا يقبل نبى فى مدينته
 وعند عشيرته » (١٠) فهذا المسيح يذكر نبوة نفسه صريحا . وقول اشعياء :
 « روح الرب على » يريد العلوم والحكمة ، كقول الله فى التوراة لموسى :
 « يصنع لى قبة الزمان بصلائل الذى ملأه روح الله بالعلم والحكمة » (١١) ،
 وكقول / الانجيل : « ان يحيى بن زكريا امتلا من روح القدس وهو فى
 بطن امه » (١٢) .

شهادة أهل عصره له بالنبوة والرسالة : قال لوقا : « رأى يسوع
 جنازة شاب وحيد لأمه ومعها جمع من أهل المدينة وهى تبكى عليه فرحمها
 وتقدم فأحيا لها ولدها وسلمه اليها فرأى الناس ذلك ومجدوا الله وقالوا :
 لقد قام فينا نبى عظيم وتعاهد الله شعبه بصلاح » (١٣) . فهذه شهادة
 ١/٥٦ من شاهد المسيح من أهل زمانه له بالنبوة وانما أورد ذلك لوقا مورد /
 التمدح بنبوته المسيح . وقد ذكرنا من أحياء الأموات من أنبياء الله ومن
 زاد فى ذلك على فعل المسيح عليه السلام . وإن زعم النصارى أن قولهم :
 « لقد قام فينا نبى عظيم » لا تثبت به الحجة ، قلنا لهم : الحجة القاطعة فى
 تقريرهم على ذلك والرضا به منهم وترك الإنكار عليهم . فان كان ذلك كفرا

(١٠) لوقا ، ج ٤ ، عد ١٦ - ٢٤

(١١) سفر الخروج ، ج ٣٧ ، عد ١

(١٢) لوقا ، ج ١ ، عد ١٥

(١٣) لوقا ، ج ٧ ، عد ١١ - ١٦

وخطأ فالمسيح محاشى عن أن يقر أمته على اعتقادهم الكفر . وانما أرسل
لنشر الحق وارشاد الخلق أسوة أمثاله من النبيين .

٥٦/ب بيان اضافة ما يصدر منه / من الخوارق الى خالقه جل وعلا : قال
لوقا : « أتى المسيح بمجنون لا يسكن الا المقابر ولا يلبس ثوبا ، فلمسا
رأى يسوع خر بين يديه وقال : يا يسوع : سألتك بالله لا تعذبني ، فقال :
اخرج من الرجل ، فخرج ، وافاق الرجل وسأل المسيح الصلبة ، فقال له :
اذهب واخبر الناس بالذى صنع الله بك ، فذهب الرجل
وجعل ينادى بذلك فى المدينة » (١٤) . فقد أخبر المسيح بأن الله
هو الذى عافا المجنون من جنونه .

١/٥٧ فان قالت النصارى : لا فرق بينهما ، اذ المسيح هو الله ، والله هو
المسيح / . قلنا لهم فالمجنون اذن أعقل فى حال جنونه منكم فى حال
عقولكم ، اذ يقول : يا يسوع المسيح : اسألك بالله ، فقد عرف الله تعالى
على حدته وعرف المسيح على حدته ، وأدرك التفرقة بين الاله
المقسم به والانسان المقسم عليه . وانتم تقولون ان الاله هو الانسان
والانسان هو الاله ، فأيكم أولى بالجنون ؟

شهادة يوحنا الانجيلى للمسيح بالنبوة صريحا : قال يوحنا
الانجيلى : « كان الناس اذا رأوا المسيح وسمعوا كلامه يقولون : هذا
النبي حقا » (١٥) . وانما / أورد ذلك يوحنا مورد المتمدح للمسيح
بالنبوة ردا على اليهود فى نسبتهم للمسيح الى السحر والكذب على الله
تعالى فأحب تعريف المتأخرين بنبوته عليه السلام . وقال يوحنا ايضا :
« تغل المسيح على طين ووضع على عينى اكمه وقال : اذهب فاغتسل
فى عين سلوخا ، ففعل ، فانفتحت عيناه ، وذلك يوم السبت ، فوقع بين
اليهود فيه خلف ، فمنهم من يقول : ليس هذا الرجل من الله ،

(١٤) لوقا ، ح ٨ ، عد ٢٦ - ٣٩

(١٥) يوحنا ، ح ٦ ، عد ١٤

١/٥٨ اذ لا يحترم السبت . ومنهم من يقول : هو نبي ، ومنهم من يقول : / لا
يجيء نبي من الجليل « (١٦) . وقال يوحنا أيضا في انجيله : « ان
المسيح اجتاز ببئر من آبار السمرة ، وقد عيى من تعب الطريق ، فسأل
امراة ان تسقيه ماء ، وفاوضها حتى أخبرها انها تزوجت خمسة
أزواج ، فلما رأت بعض اعلامه قالت له : يا سيدي : انى أراك نبيا ،
وقد علمنا ان مسيحا يأتى . فقال لها : « أنا هو الذى اكلمك » (١٧) .
وذلك تصريح منه عليه السلام بالنبوة . فمن أشد ضلالة ومن أعمى
بصيرة ممن يقرأ هذه الفصول من الانجيل المصححة بنبوته ورسالته
ثم يحملها الالف / وعادة السوء على تنكبها واعتقاد خلافها !

ب/٥٨

شهادة يوحنا برسالة المسيح عليه السلام : قال يوحنا التلميذ :
« حضر يسوع الى قبر العازر مع أخته ثم قال : أين دفنتموه ؟ فأشارت
الى المغارة التى هو فيها . فقال : ارفعوا الحجر عنه . ثم بكى فقال
اليهود : انظروا كيف يحييه . ثم رفع المسيح عينيه الى السماء وقال :
اشكرك لأنك تسمع لى ، وأعلم أنك تسمع لى كل حين ، وإنما اشكرك
لأجل هؤلاء القيام ليعلموا أنك أرسلتني . ثم قال : عازر ، اخرج ،
فقام / العازر من قبره « (١٨) .

١/٥٩

فهذا يوحنا يشهد بأن المسيح لم يدع سوى الرسالة ويعترف بأن الله
غيره وأن الرب سواه وأنه سائل والله المسئول وأنه داع والله مدعو .
وذلك خلاف عقد النصرارى اليوم فيه ، حيث يقرأون فى الأمانة التى ألفها
مشايخهم أن المسيح هو الاله الحق الذى أتقن العوالم وخلق كل شيء
بيده ، وذلك باطل بقول المسيح : ان الله غيره وأن الرب سواه وأنه
رسول من الله الى خلقه وسفير بينه وبين عباده كسائر المرسلين ،

(١٦) يوحنا ، ح ٩ ، عد ١ - ٧ ، راجع بالنسبة للجزء
الأخير من النص : يوحنا ح ٧ ، عد ٥٢
(١٧) يوحنا ، ح ٤ ، عد ١ - ٢٦
(١٨) يوحنا ، ح ١١ ، عد ٢٧ - ٤٤

٥٩/ب فقد ثبت بما نقلناه نبوة المسيح ورسالته بنص انجيله / وهى الفصول التى حماها الله من التبديل ووقاها من التغيير والتحويل صيانة لنبوته ﷺ من زيغ الزائغين ، صلى الله عليه وعلى اخوانه من النبيين والمرسلين .

وينبغى ان نسال التصارى عن هذه الفصول التى تلونها عليهم فى انجيلهم فيقال لهم : احق ذلك أم باطل ؟ فان اعترفوا انها حق تركوا التنصر ، وان زعموا انها باطل كفروا بالانجيل وتركوا دين النصرانية . فهم كيفما ارادوا فارقوا ما هم عليه لا محالة .

* * *

المسألة السابعة : فى اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم

ونحن نبني نبوته عليه السلام على ثلاثة أصول : أحدها دعواه النبوة والثاني تحديه على ذلك بالخوارق الباهرة لأولى الأبواب البشرية ، والثالث تنصيب الأنبياء المتقدمين عليه وعلى شريعته وبلده وأمته ، تارة باسمه وأخرى بموضعه وبلده ، وتارة بأعلام دينه وشعائره .

بيان الأول هو أنا نقول : ان مجيء محمد ﷺ / ودعواه النبوة ١/٦٠ والرسالة أمر مقطوع به ، فمن رام له نزاعا أو أبدى فيه دفاعا انعكس ذلك عليه بمن ينتمى إليه ، وكان بمثابة من جحد وجود مكة وبغداد ، اذ طريق ثبوت الكل انما هو خبر التواتر الموجب للعلم الضرورى ، وهذا متفق عليه لا يسوغ النزاع فيه .

وأما بيان الثانى فهو أنا نقول : قد صح وتواتر عنه عليه السلام انه كان عربيا أميا ناشئا بأرض لا علوم بها ولا معارف ، وبذلك معروف من حاله ضرورة . فلم يفجأ الناس أن تلى عليهم كتابا / يتضمن شرح ١/٦٠ ما فى التوراة والانجيل ونبوات الأنبياء ، مفصلا مبينا ، من بدء خلق السموات والأرض الى قيام الساعة . ثم سرد عليهم ذكر الأنبياء وأمهم السابقة وما جرى للقرون الماضية ، لم يغادر من ذلك حرفا مها طولعت عليه كتب المتقدمين والمتأخرين ، فالفى الأمر كما قال . وذلك عند العقلاء لا يتقاعده عند الحلاله عن سائر معجزات الرسل عليهم السلام . فهذه آية عظيمة . فان نازع النصارى وإنكروا صحتها فهم مخصومون بالتواتر ، اذ شهد التواتر أن / محمدا ﷺ مع كونه أميا لا يحسن ١/٦١ الخط ولا يقرأ كتابا قط ، الناطق بهذا الكتاب العزيز المشتمل على ما قدمناه من اخبار السموات والأرض وما بينهما بأوجز نطق وأقرب مأخذ وأحسن نسق وأرق لفظ وأجزل معنى ، فلو جاز أن يجرى مثل ذلك ثم لا يدل على الصدق لتطرق ذلك الى سائر معجزات الرسل عليهم السلام . ولنذكر بعض معجزاته عليه السلام ، فان احصاها مع كثرتها تضيق عنه هذه الأوراق .

٦١/ب فمن معجزاته عليه السلام / مما يتعلق بالغيب الذى لا يعلمه البشر الا باخبار الله تعالى ، انه اخبر اصحابه انهم يدخلون البيت الحرام آمنين ، والمسجد حينئذ فى ايدى الكفار وعباد الأصنام والأحجار ، فدخلوا كما اخبر آمنين ومحو ما به من رجس المشركين ، وذلك منصوص عليه فى كتاب الله تعالى المنقول نقل التواتر .

ومن معجزاته عليه السلام انه اخبر اصحابه ان الله تعالى يستخلفهم فى الأرض ويملكهم فيها ، وهم حالة هذه الاخبار لا يستطيع احدهم ان يذهب / لحاجته لكثرة اعدائه المحيطين بهم فكان كما اخبر صلى الله عليه وسلم .

٦٢/١ ومن معجزاته ﷺ اخباره ان الله ينصر دينه على الدين كله وان الناس يدخلون فى دين الله أفواجا فكان كما قال ﷺ ، ونصر الله دينه على كل دين ودخل الخلق فى دينه أفواجا كما قال ، وفتحت أمته الأرض ودوخوا البلاد وطبقوا الأرض وملأوا كنانف العالم وعمرها مهاب الرياح الأربع ، من الصبا والندبور والشمال / والجنوب ، فكان ذلك مصداقا لقوله ﷺ : « زويت لى الأرض حتى رايت مشارقها ومغاربها ، وسيلخ ملك امتى ما زوى لى منها » (١) .

ومن معجزاته ﷺ انه سئل آية فأشار الى القمر فانشق نصفين حتى رأى الجبل بينهما وقال عليه السلام لمن حضر : اشهدوا ، فقال الكفار : سحرهم محمد ، فقال بعضهم : ان كان سحرا فانه لم يتجاوز موضعه فسلوا من يقدم عليكم من البلاد ، فسألوا من بعد ذلك / من قدم ، فأخبروا أيضا بذلك ، فقال الكفار : هذا سحر مستمر « (٢) » .

(١) راجع مسند أحمد بن حنبل : ج ٤ ، حديث رقم ١٢٣ ، ج ٥ حديث رقم ٢٧٨ ، ٢٨٤ وراجع صحيح مسلم ، باب الفتن ، حديث رقم ١٩ . وراجع سنن أبى داود ، باب الفتن ، حديث رقم ١ وصحيح الترمذى ، باب الفتن رقم ١٤ . وابن ماجه ، باب الفتن رقم ٩ (٢) راجع صحيح البخارى ، مناقب رقم ٢٧ ، ومناقب الأنصار رقم ٣٦ ، وباب التفسير ، سورة القمر . وراجع صحيح مسلم ، باب المنافقين ، حديث رقم ٤٦ . الترمذى ، باب التفسير ، سورة القمر ومسند أحمد ، ج ٣ ، حديث رقم ١٦٥ ، ٢٠٧ ، ٢٢٠

وقيل له : قد غلبت الروم ، فأخبر أنهم من بعد غلبهم سيغلبون
فى مدة ذكرها لهم ، أعنى أصحابه فكان كما قال . كل هذه الآيات
قد تضمنها المنقول نقل التواتر ، فلو جاز رد ذلك لجاز رد آيات التوراة
والانجيل ، اذ طريق النقل واحد .

ومن معجزاته ﷺ وقوف الشمس عن جريانها « كان رسول الله ﷺ ٦٣/ب
يوحى اليه وهو فى حجر على ، فلم يصل العصر حتى غربت الشمس ،
فقام عليه السلام فقال : صليت العصر يا على ؟ فقال : لا ، فقال عليه
السلام : اللهم انه ان كان فى طاعتك وطاعة رسolk فاردد عليه شمس ،
فردت حتى طلعت على الجبال ، وذلك بالصهباء » أخرجه الطحاوى
عن أسماء ابنة عميس . فان أبدى اليهود فى ذلك نزاعا قلنا لهم :
ما دليلكم على ان الشمس ردت ليوشع ابن النون ؟ فان قالوا : تلقاه
أعداؤنا بالقبول ، قلنا لهم : فاقنعوا منا بمثل هذا الجواب . فان
قالوا : لو كان / ما تدعونه صحيحا لطبق الارض علمه قلنا : الأرض
كرة ، فقد يجرى فى أحد جانبي الكرة ما لا يعلم به فى الجانب الآخر .
الا ترون ان الملك يخالفكم فى آية يوشع ولم يضركم ذلك ؟ فالعلماء :
لا ينبغي لأهل العلم التخلف عن حديث أسماء لأنه علم من أعلام النبوة ،
وقد فعل ذلك عليه السلام مرارا .

قال المؤلف : ان رد النصارى ما روته أسماء من وقوف الشمس
قيل لهم : ألم تروا أنتم عن مريم المجدلانية التى زعمتم أن المسيح
إبراهيم / من الجنون أمورا من أعلام المسيح ؟ فاذا قالوا : بلى ، قيل ٦٤/ب
لهم : ما الذى جعل امرأة حديثة عهد بسبعة شياطين أولى بالصدق والعدل
فى الرواية من امرأة عربية عاقلة ؟ وان رد ذلك اليهود قيل لهم : ألم
تحسبوا لنا عن مريم أخت موسى وهارون أعلاما من أعلام موسى ،
فاذا كانت أخت موسى مؤمنة على ما تحكيه من اثبات شرف أخيها
وجلالته وفضله وعزه عدلها فالأجنبية أولى بالأمانة اذ الوثوق بنقلها أعظم .

ومن معجزاته ﷺ / نبع الماء من بين أصابعه وتكثير القليل ٦٥/أ

منه حتى كفى الخلق الكثير من أصحابه ﷺ . قال أنس : حضرت الصلاة وليس مع الناس ما يتوضؤون به ، وفى رواية عن أنس قال : « أتى النبى ﷺ باناء وهو بالزوراء فوضع يده فى الاناء فجعل الماء ينبع من بين أصابعه فتوضأ القوم . قال قتادة : قلت لأنس : كم كنتم ؟ قال : ثلاث مائة ، أو زهاء ثلاث مائة » (٣) . روى سالم بن أبى الجعد عن جابر بن عبد الله قال : « عطش الناس يوم الحديبية والنبى ﷺ بين يديه ركة فتوضأ ، فلما توضأ جهش الناس نحوه ، قال : ما بالكُم ؟ قالوا : ليس عندنا ما نتوضأ / ولا نشرب الا ما بين يديك . فوضع يده فى الركوة فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون فشرينا وتوضأنا . قلت : كم كنتم ؟ قال : لو كنا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة » (٤) وبالجمله فأحاديث نبع الماء من بين أصابع محمد ﷺ متواترة مستفيضة وكذلك أحاديث استنباطه الماء من الأرض الفقر ببركته مشهورة ، مذكورة معروفة ، عند أهل العلم .

١/٦٦ قال المؤلف : اعلم أن فى أحاديث نبع الماء ما هو مساو لآية / موسى عليه السلام فى استنباطه الماء من الحجر الصوان وفيها ما هو أبهر للعقول من ذلك ، اذ نبع الماء من الأرض والحجر معتاد مألوف ، فأما نبع الماء من بين أصابع آدمى فهو العجب الذى لا يدخل تحت مقدور البشر . فان نازع فى ذلك أحد من اليهود قلنا له : من أين صح لك أن موسى فجر الماء من حجر الصوان ؟ اذ لك شئ شاهدتموه أم هو الخبر الصريح والنقل الصحيح المستفيض ؟ فان أسندوا ذلك الى النقل والرواية قيل لهم : من أصار روايتك ، وهم المشهود عليهم فى التوراة /

(٣) راجع صحيح البخارى ، باب الوضوء ، حديث رقم ٣٢ ، ٤٦ باب المناقب ، حديث رقم ٢٥ ، وراجع صحيح مسلم ، باب الفضائل ، حديث رقم ٤ ، ٥ ، وراجع النسائى ، باب الطهارة ، حديث رقم ٦٠ ، وراجع الدارمى ، مقدمة ، حديث رقم ٢٥ ، وراجع الموطأ ، باب الطهارة ، حديث رقم ٣٢ ، وراجع صحيح مسلم ، باب الفضائل ، حديث رقم ٦ ، وراجع الترمذى ، باب المناقب ، حديث رقم ٦ ، وراجع مسند أحمد ، ج ٣ ، أحاديث : ١٤٧ ، ١٧٠ ، ٢١٥ ، ٢٨٩ (٤) راجع المصادر السابقة ، فى نفس الأمكنة .

بالفسق والعتو والغلط والقسوة اولى بصحة النقل من رواية آيات محمد ﷺ ، وهم المشهود لهم فى القرآن بالدين والايمان والحلم والعدالة ؟ فاما المسيح عليه السلام فلم نجد له فى الكتاب الذى بيد النصارى نظير نبع الماء فنتكلم على ذلك .

ومن معجزاته ﷺ انه كان مع أصحابه فى سفر فأصابهم عطش فبعث رجلين من أصحابه وقال لهما : انكما ستجدان فى مكان كذا امرأة معها بعير عليه مزادتان فأتينى بها ، فذهبا ، / ، فاذا الأمر كما قال ، ١/٦٧ فاتيا بها ، فأمر الناس فشريوا وسقوا ركبهم وملاؤا كل اناء معهم . واذا المزدتان كأنهما لم يذهب منهما شيء ، فأمر عليه السلام فجمع لها من الطعام ما ملأ بعيرها (٥) ثم قال : اعلمى انا لم نرأ من مائك شيئا ولكن الله الذى اسقانا فرجعت الى قومها فأخبرتهم الخبر فأسلموا « (٦) » .

قال المؤلف : ان نازع فى ذلك نصرانى قيل له : الم ترو عن انجيلك ان المسيح جاع فقصد شجرة تين ليصيب منها ثمرة ، فلما جاءها لم يجد فيها / سوى الورق ، فدعا عليها فيبست وتساقط ورقها . فمن أشارك ٦٧/ ب بصحة نقلك أسعد من غيرك بنقله ، والطريق واحد ؟

وهذه الآية اعجب واغرب واكثر وأبهر من آية المسيح اذ كان محمد ﷺ عرف موضع الطعينة ومعها بعير وأن عليه قربتين ماء وأنه سقى منهما جيشا عرمرما وملا آنيتهم وإعاد المزدتين كما كانتا . فاما المسيح عليه السلام فنقلوا عنه أنه لم يعلم خلو الشجرة عن الثمر / ١/٦٨ حنى قصدها فأخلفت ظنه ولم تطابق حدسه وأنه دعا عليها فأهلكها وأفسد ماليها فاما محمد ﷺ فنفع بالماء عسكرا عظيما وبأبقى ماليه

(٥) « ما ملأ بعيرها » كذا فى الأصل ، ولعله يريد : ما ملأ حمل بعيرها .

(٦) راجع صحيح البخارى : باب التيمم ، حديث رقم ٦ ، وراجع صحيح مسلم ، باب المساجد ، حديث رقم ٣١٢ ، وراجع مسند أحمد ، ج ٤ ، حديث رقم ٤٣٥

الماء على ربه . فيالله العجب ، محمد يعلم الغيب وهو نبي والمسيح لا يعلمه وهو اله ؟ لقد كاد الله هذه العقول .

ومن معجزاته ﷺ تكثير الطعام اليسير . قال جابر بن عبد الله : « اطعم رسول الله ﷺ يوم الخندق من صاع شعير وعناق الف رجل ٦٨/ب حتى تركوه / وانصرفوا وان القدر لتغط كما هي وان العجين ليخبز » (٧) .

قال أبو أيوب : « صنعت لرسول الله ﷺ ولصاحبيه أبي بكر وعمر قدر ما يكفيهم من الطعام ، فقال النبي ﷺ : ادع لى ثلاثين رجلا من اشراف الأنصار فدعوتهم فأكلوا حتى تركوه ، ثم قال : ادع لى سبعين رجلا فدعوتهم فأكلوا حتى تركوه ، فلم يخرجوا حتى أسلموا . قال أبو أيوب : ٦٩/١ فاكل / من طعامي ذلك مائة وثمانون رجلا » (٨) .

قال أبو هريرة : « اصاب الناس مخمصة فقال لى رسول الله ﷺ : هل من شئ ؟ فقلت : نعم ، شئ من تمر فى مزود ، قال : فأتنى به ، فادخل يده فاخرج قبيضة فبسطها ثم دعا بالبركة ثم قال : ادع عشرة ، فدعوتهم ، فأكلوا حتى شبعوا ، ثم قال : ادع عشرة ، فدعوتهم فأكلوا حتى شبعوا ، ولم يزل يقول : ادع ، حتى أكل الجيش ٦٩/ب عن آخره وشبعوا ، ثم قال ﷺ : خذ ما جئت به ، قال / أبو هريرة : فأكلت منه وأطعمت حياة رسول الله ﷺ وأبى بكر وعمر وجهزت منه كذا وكذا وسق تمر فى سبيل الله وكان عدة ذلك التمر بضع عشرة ثمرة (٩) .

قال المؤلف : روى هذه الآيات البيئات والمعجزات الباهرات الجم الغفير والخلق الكثير من اصحاب محمد صلى الله عليه وعلى آله ، ثم تلقى ١/٧٠ ذلك عنهم التابعون باحسان ، ثم أخذ ذلك عن التابعين اكابر / العلماء

- (٧) راجع صحيح البخارى ، كتاب المغازى ، حديث رقم ٢٩ ، وصحيح مسلم ، باب الأشربة ، حديث رقم ١٤١ .
(٨) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فى أى من الصحاح .
(٩) راجع صحيح البخارى ، كتاب المناقب ، حديث رقم ٢٥ ، الداريمى ، مقدمة ، حديث رقم ٧ ، الموطأ ، صفة النبى ، حديث رقم ١٩ ، وراجع ابن ماجه ، كتاب الأطعمة ، حديث رقم ٤٧

وصدور الأئمة . فان أنكر ذلك يهودى قلنا له : ما الدليل على ان موسى اطعم فى البرية جمعا كثيرا من أصحابه منا وسلوى . وان ارتاب به نصرانى قيل له : ما طريق معرفتك بأن المسيح اطعم جموعا كثيرة من حوتين وخمسة أرغفة ؟ فان أسند ذلك الى نقل خلفهم عن سلفهم قيل لهم : اقنعوا منا بمثل هذا الاسناد ، فمن رام قدحا فى نقلنا لم يسلم من مثل ذلك فى نقله ، فما أجاب به فهو لنا جواب .

قال صالح بن الحسين / : وكما لا يقدر فى آية عيسى تكذيب اليهود ٧٠/ب فكذلك لا يقدر فى آية محمد تكذيبهما . على ان الهند والصين واكثر الطوائف لا تعرف ما نقله اليهود والنصارى عن موسى وعيسى . وكما لم يضر ذلك لم يضر هذا .

ومن معجزاته ﷺ شهادة الشجر والحجر له بالنبوة والرسالة وحنين الجذع شوقا اليه واجابة ندائه . قال ابن عمر : « كنا مع رسول الله ﷺ فى سفر فجاءه اعرابى فقال له : يا اعرابى : اين تريد ؟ قال : اهلى ، قال : هل أدلك على / خير من ذلك ؟ قال : ما هو ؟ قال : شهادة أن لا اله الا الله وائى رسول الله ، قال : من يشهد لك على ما تقول ؟ قال : هذه الشجرة ، فأقبلت الشجرة تخط الأرض حتى قامت بين يديه ، فاستشهدا ثلاثا ، فشهدت لله ولرسوله ثم رجعت الى مكانها (١٠) قال ابن بريدة : « سأل اعرابى رسول الله ﷺ آية ، فقال : قل : لتلك الشجرة : رسول الله ﷺ يدعوك ، قال : ففعل ، فمالت الشجرة عن يمينها وشمالها وبين / يديها وخلفها ، ٧١/ب ثم جاءت تخذ الأرض حتى وقفت بين يدي رسول الله ﷺ ، فقالت : السلام عليك يا رسول الله ، فقال الاعرابى : مرها فلترجع الى موضعها ، فأمرها فرجعت حتى استوت مكانها ، فقال الاعرابى : ائذن لى ان أسجد لك ، فلم يأذن له النبى ﷺ بالسجود ، فقال : ائذن لى فى تقبيل يدك ، ففعل » (١١) . وخرج رسول الله ﷺ ليقضى حاجا

(١٠) لم أجده بهذا اللفظ فى أى من الصحاح .

(١١) راجع ابن ماجه ، باب الفتن ، حديث رقم ٢٣

فلم يجد شيئاً يستتر به ، فوجد شجرتين متباعدتين ببطن الوادى ،
١/٧٢ فاخذ بعض / احدهما وقال : انقادى باذن الله تعالى فانقادت معه
كالبعير الذلول وفعل بالأخرى كذلك ، ثم قال : التأما باذن الله ،
فالتأمتا « (١٢) وفى رواية أخرى : أنه أمر جابر بن عبد الله باستدعائهما
اليه فجاءته حتى سترته ففضى حاجته . وقال يعلى بن مرة : رأيت
شجرة طلع جاءت فأطافت برسول الله ﷺ ثم رجعت الى منبتها (١٣)

٧٢/ب قال المؤلف : لقد بالغت فى اقتصار ما نقلت من هذا / فان قدح
فى ذلك يهودى قلنا له : قد حكيت فى توراتك أن موسى أقام عصاه
فى قبة الزمان فأورقت وأثمرت جوزا ، فبم عرفت صحة ذلك ؟ فانه
يجيب نفسه عنا بأبلغ القول . على أن عصى موسى لم تنطق بنبؤته ،
ولم تجبه بالسلام . فآية محمد اعجب واغرب . وان ارتاب به نصرانى
قيل له : قد رويت عن انجيلك الذى بيدك الآن ان الشياطين كانت تكلم
المسيح شفاه ، فمن اخبرك بصحة ذلك ؟ فانه يتكلف عنا جواب نفسه
١/٧٣ ويحمل عنا مؤنة الجواب . على أن نطق الشياطين / والانسان معهود
مشهود ، فأما الحطب والخشب فكلامه وشهادته أبهر للعقول (١٤) .
وقد صح فيما تواتر من الاخبار عنه ﷺ أن الجذع حن اليه حتى سمع
اهل المسجد حنينه فقام اليه والتزمه فسكت وكف عن الحنين (١٥) ،
فكان الحسن البصرى اذا حدث بحديث الجذع بكى وقال : يا عباد الله :
الخشب تحن الى رسول الله ﷺ شوقا اليه لمكانه من الله تعالى فانتم
احق ان تشناقوا اليه .

(١٢) راجع صحيح مسلم ، باب الزهد ، حديث رقم ٧٤ ،
والدارمى ، مقدمة ، حديث رقم ٤
(١٣) لم أجده بهذا اللفظ فى أحد الصحاح .
(١٤) « للعقول » فى الأصل « العقول » ولعل الصواب
ما أثبتناه .

(١٥) راجع صحيح البخارى ، كتاب المناقب ، حديث رقم ٢٥ ،
وابن ماجه ، باب الاقامة ، حديث رقم ١٩٩ ، والدارمى ، مقدمة ، حديث
رقم ٦ ، وباب الصلاة ، حديث رقم ٢٠٢

ولنسرده من معجزاته / ﷺ خوارق صحت بها الآثار ونقلها الأعلام ٧٣/ب
الكبار ، من المهاجرين والأنصار ، والتابعين والأبرار .

فمن ذلك تسبيح الحمص في كفه حتى سمعه من حضر مجلسه ،
وذلك أنه أخذ كفا من حمص فسبح في يده ، ثم صبه في كف أبي بكر
فسبح في يده أيضا (١٦) . ومن ذلك تسبيح الطعام بين يديه قال الصحابة
رضوان الله عليهم : لقد كنا نسمع تسبيح الطعام / بين يديه وهو ١/٧٤
يؤكل (١٧) . ومن ذلك تسليم الحجر والشجر . قال علي بن أبي طالب :
كنا مع رسول الله ﷺ بمكة ، فخرج إلى بعض نواحيها ، فما استقبله
جبل ولا شجر إلا قال : السلام عليك يا رسول الله (١٨) . وقال
جابر بن عبد الله : لم يكن رسول الله ﷺ يمر بحجر ولا شجر
إلا سجد له (١٩) . ومن ذلك اضطراب الجبل لصعوده عليه « سعد
رسول الله / ﷺ أحدا مرة (وحرى) (٢٠) أخرى ومعه أبو بكر وعمر ٧٤/ب
وعثمان ، فرجف الجبل ، فقال عليه السلام : اثبت أحد ، فانما عليك
نبي وصديق وشهيدان ، فقتل عمر وعثمان (٢١) . ومن ذلك سقوط
الأصنام وارتكاس الأوثان بإشارته ﷺ . قال ابن عباس : كان حول
الكعبة ثلاثمائة وستون صنما ، مثبتة الأرجل بالرصاص ، فلما دخل
رسول الله ﷺ المسجد عام / الفتح جعل يشير رسول الله ﷺ إليها ١/٧٥
بقضيب كان بيده ولا يمسه ويقول : جاء الحق وزهق الباطل إن الباطل

(١٦) لم أجده بهذا اللفظ في أحد الصحاح .
(١٧) راجع الدارمي ، مقدمة ، حديث رقم ٥ ، وصحيح البخاري ،
كتاب المناقب ، حديث رقم ٢٥ ، ومسنده أحمد بن حنبل ، الجزء الأول
حديث رقم ٤٦٠

(١٨) راجع ، الترمذي ، باب المناقب ، حديث رقم ٦
(١٩) لم أجده بهذا اللفظ في أحد الصحاح .
(٢٠) « وحرى » كلمة مثبتة في الأصل غير واضحة المعنى .
(٢١) راجع صحيح مسلم باب الزهد ، حديث رقم ٧٣ ، وابن ماجه ،
باب فضائل الصحابة ، حديث رقم ٥ - ٧ ، ومسنده أبي داود ، باب
السنة ، حديث رقم ٨ ، والترمذي ، باب المناقب ، حديث رقم ١٧ ،
ومسنده أحمد بن حنبل ، الجزء الثالث ، حديث رقم ١١٢ ، والجزء
السادس ، حديث رقم ١٧

كان زهوقا ، فما أشار الى قفاه الا سقط لوجهه ، ولا الى وجهه الا سقط الى قفاه ، حتى ما بقى منها صنم (٢٢) ورواه أيضا ابن مسعود .

قال المؤلف : طريق ثبوت ذلك النقل الحق والخبر الصدق الذي بمثله تثبت أعلام موسى والمسيح وغيرهما من الأنبياء والمرسلين ،
٧٥/ب صلوات الله عليهم أجمعين / فمن رام طعنا فى ذلك انعكس عليه فيمن ينتمى اليه ، وكل سؤال انقلب على مورده فهو باطل من أصله .
وفى بعض هذه الآيات أن الشجر والحجر كان يسجد لرسول الله ﷺ إذا رآه وذلك أبدع من سجود المجنون الذى سجد للمسيح عليه السلام .
ومن معجزاته ﷺ اظلاله بالغمام . روت الرواة أن النبی ﷺ أقبل والغمامة تظله من الشمس ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه الى الشجرة ، فلما جلس مال الفئء الى ناحيته / (٢٣) . ولما قدم من الشام مع غلام خديجة قدم والغمامة تستره وتقيه حر الشمس حتى رأى ذلك من شاهده من الناس (٢٤) . فمن أنكر ذلك من اليهود والنصارى رد عليهم مثله فى غمام موسى والمسيح ، واضطرهم الحال الى التصديق ، ولا فتشوش عليهم قواعدهم ، اذ طريق الثبوت واحد .

قال صالح بن الحسين : أما آية موسى فمشهورة ، وإياها آية عيسى فلم ينقلها سوى بطرس وابنى زبدي ، فهي مروية رواية الأحاد ،
٧٦/ب فاما ستر محمد ﷺ بالغمام فرواه جماعة من السلف / ، فان طعن فيها نصرانى رد عليه مثل ذلك فى آية عيسى ، وان طعن فيها يهودى قيل له : اذا لم يقدح طعن مثلك من الغرق والمالك (٢٥) فى آية موسى ، لم يقدح طعنك أنت فى آية محمد ﷺ .

(٢٢) راجع صحيح البخارى ، باب المظالم ، حديث رقم ٣٩
(٢٣) راجع الترمذى ، باب المناقب ، حديث رقم ٣
(٢٤) راجع الترمذى ، باب المناقب ، حديث رقم ٣ وما بعده .
(٢٥) « من الغرق والمالك » عبارة غامضة لا يستقيم السياق معها ، ولعل هناك فقرات سابقة على هذه العبارة قد سقطت سهوا من الناسخ .

نطق الحيوان البهيم وشهادته له بالنبوة ثم الرسالة وسجوده بين يديه : قال ابن عمر : كان رسول الله ﷺ فى محفل من أصحابه ، فجاءه أعرابى بضرب قد صاده ، فقال : من هذا ؟ فقالوا : نبي الله ، فقال : لا أومن بك / حتى يؤمن بك هذا الضب ، وطرحه بين يدي ١/٧٧ رسول الله ، فقال رسول الله ﷺ : يا ضب ، من أنا ؟ فأجابه : لبيك وسعديك يا زين من وافى القيامة . قال : من تعبد ؟ قال : الذى فى السماء عرشه وفى الأرض سلطانه وفى الجنة رحمته وفى النار عقابه . قال : فمن أنا ؟ قال : رسول رب العالمين وخاتم النبيين ، قد أفلح من صدقك وخاب من كذبك ، فأسلم الأعرابى (٢٦) .

قال المؤلف : هذا أعجب من كلام الأبيكم للمسيح ، اذ / كلام ٧٧/ب الأدمى غير عظيم بخلاف كلام الحيوان البهيم . ومن ذلك كلام الذئب ، فقد كله الذئب دفعات وخاطبه وشهد له بالنبوة والرسالة ، رواه جماعة . والأحاديث فى ذلك كثيرة جدا ، وأسلم بسبب ذلك جماعة من العرب المتباعدين له صلى الله عليه وسلم . قال أنس بن مالك : دخل رسول الله ﷺ حائط رجل من الأنصار وفيه غنم ، فجاءت وسجدت / لرسول الله ﷺ ، فقال أبو بكر : نحن أحق لك بالسجود ١/٧٨ منها (٢٧) . وقال أبو هريرة : دخل رسول الله ﷺ حائطا ، فجاء بعير فسجد له (٢٨) . وقال جماعة من الصحابة : كان ببعض حيطان المدينة جمل لا يدخل أحد الحائط الا شد عليه ، فلما دخل رسول الله ﷺ دعا الجمل ، فوضع مشفره بالأرض وبرك بين يديه ﷺ ، فقال عليه السلام : ما بين السماء والأرض شئ الا ويعلم أنى رسول الله الا عاصى الجن / والانس (٢٩) . فان قالوا : لو كان الأمر صحيحا ٧٨/ب لاستفاض عندنا وعند اليهود وسائر الطوائف وذلك لم نسمعه الا منكم .

- (٢٦) لم أجده بهذا اللفظ فى أى من كتب الصحاح .
- (٢٧) لم أجده بهذا اللفظ فى أى من كتب الصحاح .
- (٢٨) راجع أحمد بن حنبل ، الجزء السادس ، حديث رقم ٧٦
- (٢٩) راجع الدارمى ، المقدمة ، حديث رقم ٤ ، وأحمد بن حنبل ، الجزء الثالث ، أحاديث ٦٠ ، ٣١٠

قلنا لهم نحن أيضا : وكذلك الآيات التى تنقلونها لم نسمعها الا منكم .
فان قالوا : انتم مقرون بصدق موسى وعيسى ، ونحن لا نقر به ، فنحن مع
من اتفقنا حتى نتفق على غيره . قلنا : من هو موسى وعيسى ؟ هما
اللذان نصا على محمد أو غيرهما ؟ فان كان الاول ، فهما اللذان
نقر بهما ، وان كان الثانى فنحن لا نقر به ، وهو عندنا غير معتد به ،
ولا / نلتفت اليه . ومن ذلك ان حمام الحرم اظلمته يوم فتح مكة عند
دخوله ، فدعا لها بالبركة (٣٠) ومن ذلك كلام الطيبة له . قالت ام سلمة :
بينما محمد ﷺ فى ارض فلاة اذ نادى طيبة : يا رسول الله ، فقال :
ما حاجتك ؟ قالت : صادنى هذا الرجل ، ولى خشفان فى ذلك الجبل ،
ارضعهما وارجع ، قال : وتفعلين ؟ قالت : نعم ، فاطلقها ، فذهبت
ب / ورجعت ، فانتبه الرجل واسلم ، واطلق / الطيبة ، فخرجت تشتد
وهى تقول : أشهد أن لا اله الا الله وانك رسول الله (٣١) . ومن ذلك
تسخير السبع لمولاه ﷺ ، قال سفينة : ارسلنى رسول الله ﷺ الى معاذ
باليمن ، فانكسرت السفينة ، فطلعت الى جزيرة ، فاستقبلنى الاسد ،
فقلت : انا سفينة مولى رسول الله ﷺ ومعى كتابه فهمهم ، وجعل
يغمرنى بمنكبه حتى اقامنى على الطريق . فلما رجعت من اليمن لقينى
الاسد ، فهمهم بشئ ، فقصصت القصة على رسول الله ﷺ ، وكذلك /
١/٨٠
جرى فى فتوح الشام لبعض غلمانه ، حكاه الواقدى . ومن ذلك ان
رسول الله ﷺ ارسله الى الملوك يدعوهم الى دين الاسلام ، فخرجوا
متوجهين ، فاصبحوا فى يوم الاحد وكل رجل منهم يتكلم بلغة القوم
الذين ارسل اليهم ، حكاه الواقدى .

قال المؤلف : هذا نظير ما حكاه النصارى عن رسول المسيح ، فان
قدحوا فيها لم يسلّموا فى تطرق القدح فيما نقلوه ، اذ طريق الثبوت
ب / واحد . / وقد نقله الخلف عن السلف ورووه بقلوب سليمة ، لجوازه
وعدم استحالته ، كما تلقى اهل الكتاب ذلك عن انبيائهم لاتصافهم
بذلك ايضا .

(٣٠) لم اعثر عليه بهذا اللفظ فى الصحاح .
(٣١) لم اعثر عليه بهذا اللفظ فى الصحاح .

ومن ذلك كلام الأخرس . روى فهد بن عطية أن رسول الله ﷺ أتى بصبى بلغ الكلام ولم يتكلم ، فقال له رسول الله ﷺ : من أنا ؟ قال : أنت النبی رسول الله (*) . وقال معرض بن معقيب : رايت النبی ﷺ فرأيت عجبا ، أتى بصبى يوم ولد ، فقال له : من / أنا ؟ ١/٨١ قال : أنت رسول الله ، فقال له : صدقت بآرك الله فيك ، فهو مبارك اليمامة ، وذلك فى حجة الوداع (٣٢) . وهاتان الآيتان تزيدان على نقل النصارى من كلام الأخرس للمسيح . وكما لم يقدح فى تكذيب اليهود لآية المسيح لا يخذش تكذيب النصارى لآية محمد ﷺ . فان قالوا : نحن اليهود والنصارى أكثر منكم ، وما نحن ننكر ذلك ، قلنا : وطبقات العالم وسائر فرق بنى آدم ينكرون ما تحكون عن توراتكم وانجيلكم وهو أكثر / منكم أضعافا مضاعفة ، ونحن معشر المسلمين لا نقر ١/٨١ ب / بشيء مما تحكونه ، الا ما نقله الينا نبينا عليه السلام ، لأن من اتخذ انسانا من بنى آدم أو عجلا صورة البقر الها من دون الله تعالى فقد انخرمت الثقة بنقله ، ولم يوثق بفعله ، والله أعلم .

ومن ذلك حياة انسان بعد موته ، قال أنس : توفى شاب وله أم عجوز عمياء ، قال أنس : فسجناه وعزيناها ، فقالت : مات ابني ؟ قلنا : نعم ، فقالت : اللهم ان كنت تعلم أننى هاجرت الى نبيك / رجاء ١/٨٢ ان تعيننى على كل شدة فلا تحمل على هذه المصيبة ، قال أنس : فما برحنا حتى كشف الثوب عن وجهه ، فطعم وطعمنا معه (٣٣) .

قال المؤلف : غاية قول المخالف : لعل الشاب لم يمت ، فنقول : ولعل الشاب المحمول على الجنابة الذى احياه المسيح كان قد أدركته سكتة فلم يمت . واعلم ان هذه الآية اعظم من آية المسيح عليه السلام ، اذ جرت على يد عجوز عمياء ضعيفة من أتباع محمد ﷺ / ومن ١/٨٢ ب /

-
- (*) لم أعثر عليه بهذا النص فى كتب الصحاح .
 - (٣٢) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فى كتب الصحاح .
 - (٣٣) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فى كتب الصحاح .

ذلك نطق الموتى وشهادتهم بنبوته ورسالته عليه السلام . قال عبد الله ابن عبيد الله الأنصاري : كنت فيمن دفن ثابت بن قيس بن الشماس ، وكان قتل باليامة ، فحين ادخلناه القبر سمعناه يقول : محمد رسول الله ، ابو بكر الصديق ، عمر الفاروق ، الشهيد عثمان . فنظرنا فاذا هو ميت . وقال النعمان بن بشير : بينما زيد بن خارجة مارا في بعض سكك المدينة اذ خر ميتا ، ورفع وسجى ، فسمعوه بين / العشائين ١/٨٣ والنساء يصرخن حوله ، يقول : انصتوا ، وحسر عن وجهه وقال : محمد رسول الله النبي الأمي خاتم النبيين كان ذلك في الكتاب الأول . ثم قال : صدق صدق . ثم قال : السلام عليك يا رسول الله ، ثم خر ميتا كما كان .

قال المؤلف : كيف نتلقى أخبار العاذر بالقبول ونرد أخبار اصحاب رسول الله ﷺ ، وهم العدول ؟

٨٣/ب رد العين والجراحة والعضو الى حال صحتها بيده المباركة ﷺ / قال سعيد بن ابي وقاص وجماعة من اصحابه رضى الله عنهم : لما كان يوم احد أصيبت عين ابي قتادة حتى وقعت على وجنته فردها النبي ﷺ ، فكانت احسن عينيه (٣٤) .

١/٨٤ قال المؤلف عفا الله عنه : هذه الآية أعظم قدرا من آية يوسف في مسحه بيده على عيني أبيه يعقوب فقويتا ، كما شهدت بذلك توراتهم ، والحمد لله الذي جمع لنبيينا ما تفرق من آيات الانبياء ، والفضل بيد الله يؤتيه من يشاء / . ومن ذلك رد بصر الأعمى بعد عماه . روى النسائي عن عثمان بن حنيف قال : جاء رجل أعمى الى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله ، ادع الله أن يكشف لى عن بصرى ، قال : انطلق فتوضأ ثم صل ركعتين ثم قل : اللهم أسألك واتوجه اليك بالنبي محمد ، يا محمد : انى اتوجه بك الى ربك أن يكشف عن بصرى ، شفعه فى . قال : فرجع الأعمى وقد كشف الله عن بصره (٣٥) .

-
- (٣٤) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فى الصحاح .
 - (٣٥) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فى الصحاح .

قال المؤلف / : هذه الآية فيها مزيد على آية الانجيل ، اذ قال ٨٤/ب
المسيح للأعمى : انطلق الى عين سلوفا ، فاغتسل ، ففعل وابصر ،
فهذه بتلك . ومن ذلك ابراء علة الاستسقاء : مرض ملاعب الأسنة
بالاستسقاء ، فبعث الى رسول الله ﷺ رسولا فشكى اليه ذلك
فاخذ عليه السلام قبضة من الأرض فتفل عليها ثم اعطاها الرسول ،
فاخذها وانصرف متعجبا يرى انه قد هزىء به ، فاتى بها وقد قارب
المهلك ، فشربها الرجل فشفاه الله (٣٦) .

قال المؤلف : قالت التوراة : ان موسى امر قومه أن يسقوا من اثمهما
زوجها / بالفجور من طين يكون أسفل المذبح ، مخلوط برماد بقرة
القربان ، فان كانت المرأة زنت انتفخ فخذاها وبطنها وأعلن أمرها ،
وان كانت بريئة سلمت من ذلك وحملت بذكر . وهذه الآية مثلها وأعجب
منها قد روى العقيلي عن حبيب بن فديك أن أبام ابيضت عيناه ، فكان
لا يبصر بهما شيئا ، فنفت فيهما رسول الله ﷺ فأبصر ، قال :
فرايته يدخل الخيط في الابرة وهو ابن ثمانين سنة (٣٧) .

قال المؤلف / : رايت في الانجيل الذى بأيديهم أن المسيح تفل
على طين وجعله على عيني اعمى وقال : اذهب واغتسل فى عين
سلوفا ، ففعل وابصر . فهذه بتلك . ولما كان يوم خير ، وقد أبطا
الفتح ، قال رسول الله ﷺ : لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله
ورسوله ويحبه الله ورسوله ، يفتح الله على يديه . فلما أصبح دعا
عليه ، وكان أرمدا ، فجاء به يقاد ، فتفل فى عينه ، فبرئ للوقت
وتقدم ففتح الله على يديه / (٣٨) .

٨٦/١

-
- (٣٦) لم أعر على بهذا اللفظ فى الصحاح .
 - (٣٧) لم أعر على بهذا اللفظ فى الصحاح .
 - (٣٨) راجع صحيح البخارى ، كتاب الجهاد ، أحاديث : ٢ ، ١٠ ،
١٢١ ، ١٤٣ ، وفصائل أصحاب النبى ، حديث رقم ٩ ، وصحيح مسلم ،
باب فضائل الصحابة ، أحاديث : ٣٢ - ٣٥ ، والترمذى ، كتاب المناقب ،
حديث رقم ٢٠ ، وابن ماجه ، المقدمة ، حديث رقم ١١ ، وأحمد بن
حنبل ، الجزء الأول ، أحاديث ٩٩٤ ، ١٨٥ ، والجزء الثانى ، حديث
رقم ٣٨٤ ، والجزء الرابع ، حديث رقم ٥٢ ، والجزء الخامس ،
حديث رقم ٣٣٣

قال المؤلف : فى هذه القصة آيات بينات ، ودلائل للنبوة واضحات من ذلك : شفاء الرمد للوقت ، والاخبار عن دوام حياته وحياة الرسول ، وابطاء الفتح الى الغد ، وأن عليا محبوب الله ، وأن الفتح لا يكون على يد غيره ، وكان كما أخبر ﷺ . وانكسرت ساق على بن الحكم يوم الخندق ، فتفل عليها رسول الله ﷺ ، فبرىء مكانه ولم يزل على فرسه (٣٩) . وقطع أبو جهل يوم بدر يد معوز بن عفراء ، فجاء يحمل يده الى رسول الله ﷺ / ، فبصق عليها والصقها فلصقت وصحت ١/٨٦
مثل اختها ، روى ذلك ابن وهب .

قال المؤلف : هذه والله أبهر من اليد اليابسة التى ردها المسيح عليه السلام مثل الأخرى صحيحة ، وأعجب من أذن ملحس التى الصقها المسيح عليه السلام ليلة الفزع ، فالويل لمن كذب بشيء من ذلك . واصيب شق خبيب بن يساف يوم بدر حتى مال ، فرده رسول الله ﷺ بيده ونفث عليه من ريقه ، فعاد صحيحا (٤٠) . هذه توأمة ما فعله المسيح بالملح ، حيث قال له : قم فاحمل سريرك . / ومن ذلك ابراء المجنون قال ابن عباس : جاءت امرأة بصبى مجنون الى رسول الله ﷺ ، فمسح صدره بيده ، فذهب جنونه (٤١) . وجاءت أخرى بصبى لم يتكلم ، فاخذ ماء وتمضمض به وغسل يديه وأمر بسقى الصبى ، فتكلم ويرا وعقل عقلا يفضل عقول الناس (٤٢) . وقال طاووس : لم يؤت النبى عليه السلام بمجنون فوضع يده على صدره الا عوفى من جنونه وذهب عنه .

١/٨٧ قال المؤلف : ان نازعنا نصرانى فى ذلك قلنا له : ما الدليل / على أن المسيح أخرج من مريم المجدلانية شياطينها ؟ ومن ولد الرجل الذى شفاه من جنونه ؟ فما أجاب به فهو لنا جواب . وكان بكف

-
- (٣٩) لم أعر عليه بهذا اللفظ فى أى من الصحاح .
 - (٤٠) لم أجده بهذا اللفظ فى أى من الصحاح .
 - (٤١) راجع مسند الدارمى ، المقدمة ، حديث رقم ٤ ، وراجع أحمد بن حنبل ، الجزء الأول ، حديث رقم ٢٥٤ .
 - (٤٢) لم أجده بهذا اللفظ فى أى من الصحاح .

شرحبيل الجعفى سلعة تمتعه القبض على السيف والعنان ، فشكاها الى رسول الله ﷺ ، فما زال عليه السلام يحركها بكفه المباركة حتى رفع كفه وقد زالت فلم يبق لها اثر (٤٣) . ومن ذلك انقلاب الأعيان ببركته ﷺ . قال حماد بن سلمة : زود رسول الله ﷺ أصحابه بسقاء من ماء بعد أن أوكاه / ودعا فيه ، فلما حضرتهم الصلاة نزلوا ١/٨٨ فحلوه فوجدوه لبنا طيبا وفى فمه زبدة (٤٤) .

قال المؤلف : متى نوزعت فى صحة هذه الآية فقل لليهودى : ما الدليل على أن موسى حول الماء دما غبيطا ، وقل للنصرانى : ما حجتك على أن المسيح قلب الماء خمرا ؟ واعلم أن آية نبينا أظهر وإظهر ، صلوات الله عليه وعلى آله وأخوته من النبيين والمرسلين . ومن ذلك أن رجلا به ادرة فشكا أدرته الى رسول الله ﷺ فأمره أن ينضحها من عين كان قد مج فيها ، ففعل الرجل وعوفى من علته (٤٥) .

قال المؤلف : هذه الآية أعظم من آية اليسع فى امر الأبرص بالانغماس فى بحر الأردن وأغرب من طرد موسى لأخته عن العسكر سبعة أيام حتى شفيت من برصها .

ومن ذلك عصمة الله له من أعدائه ، اليهود وغيرهم . وذلك أن اليهود والكهنة أئذروا به قريشا ، ووصفوه بصفته ، وعرفوهم بسطوته ، / وحضوهم على قتله ، فحماه الله وعصمه من كل سوء ١/٨٩ حتى أدى رسالة ربه .

قال المؤلف : قد سمع جماعة ليلة ولد رسول الله ﷺ يهوديا ينادى صاحبه على أطم من أطام المدينة : ألا انه قد طلع فى هذه الليلة نجم احمد . وقد حكى النصرارى فى أنجيلهم أن المجوس جاءوا فأخبروا بمولد المسيح وطلوع نجمه ورؤيتهم له فى بيت لحم . وأنى لهم بتحقيق

-
- (٤٣) لم أجده بهذا اللفظ فى أحد الصحاح .
 - (٤٤) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فى أى من الصحاح .
 - (٤٥) لم أعثر عليه بهذا اللفظ فى أى من الصحاح .

تلك الحكاية عن المجوس الا بالطريق التى ثبتت بها أخبارنا ؟ وقد أخبر
 ١٩٠/ب النصارى / أن المجوس لما أخبروا بذلك هربت أم المسيح به مع
 خطيبها يوسف الى مصر من خوف هيرودس فأما محمد ﷺ فلم يهرب
 به ، بل تكفل الله بحفظه وصونه . وقد جهد الأعداء جهدهم حتى
 بلغ رسالة ربه وأعلى دينه على كل دين ، فعاش صلوات الله عليه
 حميدا ، وتوفاه الله سعيدا ، وهما هزم ولا غلب ، ولا قتل ولا صلب .
 فأما أنتم فزعمتم أن المسيح هبت به أمه من خوف اليهود الى مصر ،
 ١٩٠/ب ولما عاد الى الناصرة من أرض الشام لم تنزل اليهود توابه وتغالبه /
 وترميه بالخنا وبنوة الزنا ، الى أن ظفروا به ، فبالغوا فى اهانتة ،
 ثم قتلوه ظمأنا ، وصلبوه عريانا ، وقرنوه باللصوص ، وأهانوه على
 الخصوص ، هذا وهو فى سبطه ، وبين أقاربه ورهطه ، وذلك شئ
 لم يسمح الا منكم ، ولا يؤثر الا عنكم ، فأما نبينا محمد ﷺ ، فالمأثور
 من سيرته انه نشأ يتيما من أبويه جميعا ، مخالفا لرهطه ، مفارقا
 لقومه ، مباينا لأهل زمانه ، من عباد الأوثان واليهود والمجوس
 والصابئة وسائر الطوائف ، فتولاه الله بالطافة ، فلم يضره كون
 ٩٠/ب العالم على / خلافه ، فقهر الملوك والجبابة ، وكسر الأكاسرة ، وقصر
 القياصرة ، وأباد من اليهود الآفا فى ساعة واحدة ، ولم يزل أمره
 يعلو ، وملته النفيسة تسمو ، حتى طبق دينه أكناف الأرض ، وهذه
 دولته وشريعته متصلة بيوم العرض .

ومن ذلك امداد الله بالملائكة فى حروبه وحضورها بين يديه لخدمته
 وتأييده . وقد رأى الملائكة جماعة من أصحابه بحضرته ، ورأوا
 ١٩١/ب جبريل وهو يسأله عن الاسلام والايمان رأى ذلك ابن / عباس وأسامة
 ابن زيد ، وسعد ، ورات الصحابة جبريل وميكائيل عليهم ثياب بيض
 عن يمين رسول الله ﷺ وعن يساره . وقد كانت الملائكة يصافحون
 عمران بن حصين من أصحابه ، وذلك كثير ، وانما نحن اقتصرنا
 واختصرنا .

قال المؤلف : ذكرت التوراة ان الملك كان يأتى ابراهيم ولوطا

وغيرهما ، وإن الملك كان يحمل عمود الغمام لبني اسرائيل . وحكى الانجيل ان بطرس وابنى زبدي راوا الملائكة اتت الى المسيح / وهو ٩١/ب بالجبل . فليت شعري ، ما طريق تصحيح هذه الدعاوى اذا ردوا هذه الاخبار الصحيحة المستفيضة ، فان النقل طريق يعتمد عليه ، فعلام يهلكون انفسهم بكفرهم بهذا النبي الجليل القدر الذى اريست آياته على آيات اخوانه المتقدمين من النبيين والمرسلين ، صلوات الله عليهم اجمعين ؟

ومن ذلك ما اجرام الله تعالى على ايدى اصحابه وايتباعه من الكرامة فى حياته وبعد وفاته ، كالمشى على الماء ، والسير فى الهواء ، وطى الطريق البعيدة / فى اقرب مسافة ، والتسلط على السباع وكبار الافاعي ، وشفاء المرضى ، واستخراج المياه من الأرض القفر فى المعاطش واحضار الزاد حيث لا زاد ، واستحضار الذهب والفضة من الغيب ، وفهم كلام العجاوات ، وشق البحار ، والتسلط على الجبابرة والملوك ، وامرهم بالمعروف ونهيهم عن المنكر . ولقد انتهى جيش من المسلمين فى زمان عمر (٤٦) وعليهم العلاء الحضرى اميرا فتحرز منهم العدو واعتصم بدجلة ، فخطبهم العلاء وقال : ان الله ، وله الحمد ، قد اراكم من آياته فى / البر ما تعتبرون به فى ٩٢/ب البحر فانهمضوا الى عدوكم ، واعترضوا البحر اليهم ، فان الله قد جمعهم لكم بدارين ، فقالوا : نفعل ، وبالله العون ، فارتحلوا باجمعهم الى ان اتوا ساحل دجلة ، ودعوا باجمعهم وقالوا : يا ارحم الراحمين ، يا كريم يا حلیم ، يا اُحد يا صمد ، يا حى يا قيوم ، يا مَحْيى الموتى ، لا اله الا انت يا ربنا ، ثم دخلوا البحر ، فجازوا غمره باذن الله ، يمشون على متن رمله مشيا ، ما يغمر اخفاف الابل وان بين الساحل ودارين مسيرة يوم وليلة للسفن فى بعض الأحوال ، / والتقوا ٩٣/١ بالعدو ، فما تركوا منه مخبرا ، وسبوا الذرارى ، واستاقوا الأموال ، فبلغ نقل الفارس ستة آلاف .

(٤٦) يبدو ان بعد قوله : « فى زمان عمر » كلمة ساقطة ، ولعلها كلمة « الى دارين » الاتى ذكرها بعد ذلك .

فقال شاعرهم ، وهو الخفيف بن المنذر :

الم تر ان الله زلزل بحره وأنزل بالكفار احدى الجلائل
دعونا الذى شق البحار فجاءنا بأعجب من فلق البحار الأوائل

وقال آخرون : غزونا مع العلاء بين الحضرمى دارين ، والبحر
بيننا وبين العدو ، فقال : يا على ياحليم ، يا على يا عظيم ، انا عبيدك ،
٩٣/ب وفى سبيلك نقاتل عدوك / ، اللهم اجعل لنا اليهم سبيلا ، واقتحم
البحر ، فخصناه ، ما يبلغ لبودنا ، وان الدجلة لتقذف الزيد . فهذه
نبذة من معجزاته ، وكرامات اتباعه ، ﷺ .

وأما بيان الثالث ، وهو تنصيب الأنبياء عليه وعلى شريعته وعلى
أمته ، فها نحن نتلوا عليكم من كتبهم ما لا يستطيعون (٤٧) جرده
ولا رده .

فمن ذلك أن يعقوب لما احتضر بمصر أحضر أولاده وأوصاهم ودعا
١/٩٤ لهم واحدا واحدا / واحدا ، فلما انتهى الى ابنه يهوذا قال : الا وانه نبى
مرسل وملك ومسلط [لا] (٤٨) . يعدم سببط يهوذا نبى مرسل ،
وملك مسلط ، يأتى الذى له الملك . وفى اخرى : الكل - يعنى الملك
والنبوة - ينتظر الشعوب (٤٩) . فهذا الذى نص عليه يعقوب عليه
السلام بأن له الملك والنبوة هو محمد رسول الله . ولا يصح أن يكون موسى ،
اذ اليهود لا يدعون ذلك ، ولا يجوز أن يكون المسيح ، لقوله فى الانجيل :
انى لم رسل الا الى الخراف الضالة من بيت اسرائيل (٥٠) فأخبر أن
٩٤/ب دعوته خاصة وليست عامة . / وقال المسيح فى موضع آخر من الانجيل :
انى عارف لرعيتى وهى تعرفنى (٥١) . وذلك تصريح من المسيح بأن
رسالته الى من ضل من بنى اسرائيل لا غير . فأما محمد ﷺ فانه مبعوث

(٤٧) « يستطيعون » فى الأصل « تستطيعون » ولعل الصواب
ما ذكرنا ، فالحديث عن النصارى .

(٤٨) « لا » ساقطة فى الأصل .

(٤٩) راجع سفر التكوين ، اصحاح ٤٩ ، عد ٧ - ١٠

(٥٠) متى ، اصحاح ١٥ ، عد ٢٤ .

(٥١) يوحنا ، اصحاح ١٠ ، عد ١٤ .

الى كل الشعوب كما ذكر يعقوب عليه السلام . قال الله تعالى فى حقه :
 «وما أرسلناك الا كافة للناس» (٥٢) . وقال محمد ﷺ : « بعثت الى الأحمر
 والأسود » . فهذا نص التوراة ، ولا بد من الوفاء به . ولم يأت من يصلح
 تنزيله عليه سوى رسول الله صلى الله عليه وسلم . فهذه بشرى صحيحة ، ١/٩٥
 ودلالة صريحة بسيدنا رسول الله ﷺ .

البشرى الثانية : قالت التوراة فى السفر الأول منها : ان الله تعالى
 قال لابراهيم : ان فى هذا العام يولد لك ولد اسمه اسحاق . فقال ابراهيم :
 ليت اسماعيل هذا يحيا بين يديك ، يحمذك ، فقال الله تعالى : قد
 استجبت لك فى اسماعيل ، وانى أباركه وأنميه وأعظمه جدا جدا بما قد
 استجبت فيه ، وانى أصيره الى أمة كبيرة ، وأعطيه شعبا جليلا (٥٣)
 والمراد بهذه المواعيد / الآتى الخارج من نسله ، وهو محمد ﷺ . ولم ١/٩٥ ب
 يأت من صلب اسماعيل من بورك ويومن وعظم جدا جدا ، وصار الى أمة
 كبيرة ، وأعطى شعبا جليلا سوى رسول الله ﷺ ، فأتمته الذين دوخوا
 الآفاق ، وأربوا فى الكثرة والنماء والبركة على نسل اسحاق .

البشرى الثالثة من التوراة : قال فى التوراة ، فى السفر الأول أيضا :
 ان الملك ظهر لهاجر ، أم اسماعيل ، فقال : يا هاجر : من أين أقبلي
 والى أين تريدان ؟ فلما شرحت له الحال ، قال لها : ارجعى ، فانى / ١/٩٦
 سأكثر ذريتك وزرعك حتى لا يحصون كثرة وها أنت تحبلين وتلدان ابنا
 تسميه اسماعيل ، لأن الله قد سمع تذلللك وخضوعك ، وولدتك يكون وحشى
 الناس ، وتكون يده على الكل ، ويد الكل به (٥٤) . فهذه بشارة شافه
 الله بها هاجر ، ولطفها أتم ملاطفة ، وأخبرها أن يد ابنها على يد كل
 الخلائق ، وان كلمته العليا ، وكلمة من سواه السفلى ، وذلك لم يتم الا على
 يد رسول الله ﷺ .

البشرى الرابعة : قالت التوراة فى السفر الأول أيضا / : ان الله قال ١/٩٦ ب

(٥٢) سبأ : ٢٨

(٥٣) سفر التكوين ، اصحاح ١٧ ، عد ١٥ - ٢٠ واللفظ مختلف .

(٥٤) سفر التكوين ، اصحاح ٢١ ، عد ١٧ ، ١٨ .

لابراهيم انى جاعل ابنك اسماعيل لأمة عظيمة ، اذ هو من ذرعك (٥٥)،
والمراد به محمد ﷺ ، فانه ابن قيدار بن اسماعيل .

البشرى الخامسة : قالت التوراة فى السفر الخامس منها : قال
موسى : اقبل الله من سيناء ، وتجلى من ساعير ، وظهر من جبال
فاران ، معه ربوات الاطهار عن يمينه (٥٦) . فسيناء هو الجبل الذى
كلم الله فيه موسى ، وساعير هو جبل الجليل الذى كان المسيح يتعبد
فيه بالشام ، وفاران هو الجبل الذى كان رسول الله ﷺ يتعبد فيه . / ١/٩٧
وقد خصت التوراة نبينا محمدا ﷺ بما لم تخص به موسى والمسيح ،
حيث قال : معه ربوات الاطهار عن يمينه ، والربوات الملائكة . ولم
يؤيد بالملائكة من ولد اسماعيل الا رسول الله ﷺ .

البشرى السادسة : قالت التوراة فى السفر الخامس منها : انى ساقيم
لبنى اسرائيل نبيا من اخوتهم مثلك ، اجعل كلامى فى فيه ، ويقبول
لهم ما آمرهم به ، والذى لا يقبل قول ذلك النبى الذى لا يتكلم الا باسمى
ب / ٩٧/ انا انتقم منه ومن سبطه (٥٧) ، وذلك / النبى المقام هو النبى محمد ﷺ ،
ولا يجوز أن يكون هارون ، لأنه مات فى حياة موسى وعاش موسى بعده ،
ولا يجوز أن يكون يوشع لأن يوشع قد نبأه الله فى زمان موسى ، ولا يجوز
أن يكون عيسى بالاجماع ، لأنه عند النصارى اله ، والنبى الموعود به انما
دعوته بعد موسى ، كما قالت التوراة ، ولم يتم ذلك الا برسول الله
صلى الله عليه وسلم .

قال المؤلف : وهذه آثار النعمة على من فارقه لائحة ، وآثار
النعمة على من وافقه واضحة / ١/٩٨

البشرى السابعة : قالت التوراة فى هذا السفر : قال موسى لبنى
اسرائيل : « لا تطيعوا العرافين ولا المنجمين ، فسيقم لكم الرب نبيا من
اخوتكم مثلى ، فاطيعوا ذلك النبى » (٥٨) .

- (٥٥) سفر التكوين ، اصحاح ١٧ ، عد ١٥ - ٢٠
- (٥٦) سفر التثنية ، اصحاح ٣٣ ، عد ٢٢ .
- (٥٧) سفر التثنية ، اصحاح ١٧ ، عد ١٥ .
- (٥٨) سفر التثنية ، اصحاح ١٨ ، عد ١٠ - ١٥ .

قال المؤلف : لا يجوز أن يكون ذلك النبي المنتظر من بنى اسرائيل اصلا ، لقول التوراة فى آخر ورقة منها : انه لم يقم من بنى اسرائيل بعد موسى مثل موسى الذى عرف الله تعالى وجها قبل وجهه (٥٩) . واذا انتفى أن يكون من بنى اسرائيل فاخوة بنى اسرائيل / هم ولد اسماعيل ولم يأت من بنى اسماعيل مثل موسى سوى رسول الله ﷺ . فهذا بعض ما فى التوراة من البشرى بمحمد ﷺ .

واما ما فى مزامير داوود من ذلك ، قال الله فى مزموره : سبحوا الله تسبيحا جديدا . ليفرح اسرائيل بخالقه ، من أجل أن الله اصطفى له امته ، وإعطاه النصر ، وسدد الصالحين منهم بالكرامة ، يسبحون الله على مضاجعهم ، ويكبرونه بأصوات مرتفعة ، بأيديهم سيوف ذات شفرتين لينتقم بهم / من الأمم الذين لا يعبدونه (٦٠) .

١/٩٩

قال المؤلف : هذه صفة محمد ﷺ وأمه ، فهم الذين يتقلدون السيوف ، ويرفعون أصواتهم بالتسبيح والتكبير فى الحج ، ويتلون القرآن التلاوة الجديدة ، وهم أصحاب الكرامات ، كما قدمناه وحكىناه عنهم . وقال ايضا فى المزامير : تقلد أيها الجبار السيف ، فان البهاء لوجهك ، والحمد الغالب عليك ، اركب كلمة الحق وسنت التالفة فان ناموسك وشرائعك / مقرونة بهيبة يمينك ، وسهامك مسنونة ، والأمم يخرون ٩٩/ب تحتك (٦١) .

قال المؤلف : ليس متقلد السيف من الأنبياء عليهم السلام سوى محمد ﷺ ، وهو الذى خرت الأمم تحته ، وقرنت شرائعه بالهبة ، فاما القبول أو الجزية أو السيف .

وقد كان عليه السلام جبارا على الكافرين ، رحيمًا بالمؤمنين . وقال

(٥٩) سفر التثنية ، اصحاح ٣٤ ، عد ١٠ .

(٦٠) لم اعثر على هذا النص فى المزامير .

(٦١) مزمور ٤٥ (٤٤) ، عد ٤ - ٨ .

١/١٠٠ داوود فى مزمو ر آخر : ان ربنا عظيم محمود جدا ، وفى قرية الهنسا / قدوس ، ومحمد قد عم الأرض كلها فرحا (٦٢) .

قال المؤلف : فهذا نبى الله داوود قد نص على نبينا صريحا ، وسمى بلده قرية ، وشهد ان كلمته تعم اهل الأرض . وقال داوود عليه السلام فى مزمو ر آخر : لترتاح البوادي وقراها ولتسر ارض قيدار مرحا ، ولتسبح سكان الكهوف ويهتفوا من قلل الجبال بحمد الرب ، ويدفعوا تسابيحهم فى الجزائر (٦٣) .

١٠٠/ب قال المؤلف : ليت شعري ، لمن البوادي غير أمة محمد ﷺ ؟ / ومن قيدار سوى ولد اسماعيل ، جد هذا النبى العر بى ﷺ ؟ ومن سكان الكهوف والجبال سوى العرب ؟ وقال داوود عليه السلام فى صفة محمد ﷺ : ويحوز من البحر الى البحر ، ومن لدن الأنهار الى منقطع الأرض ، تخر اهل الجزائر بين يديه ، ويلحس أعداءه التراب ، وتدين له الأمم بالطاعة والانقياد ، ويخلص المضطهد البائس بمن هو اقوى منه وينقذ الضعيف الذى لا ناصر له ، ويروءف بالمساكين والضعفاء ، ويصلى عليه / ويبارك فى كل حين . ١/١٠١

قال المؤلف : هذه صفات محمد ﷺ ، فما يعلم من ينزل عليه هذا الكلام الحق والخبر الصدق سواه . فهذا بعض ما فى المزامير من التنويه بمحمد ﷺ .

واما نبوة اشعيا (٦٤) عليه السلام فقال فيها : قيل لى : قم نظارا فانظر ، ماذا ترى ؟ فقلت : ارى راكبين مقبلين ، احدهما على حمار ١٠١/ب والاخر على جمل ، يقول احدهما للآخر ، سقطت بابل / واصنامها للمنخر (٦٥) .

(٦٢) لم أعرثر عليه فى المزامير .

(٦٣) راجع اشعيا ، اصحاح ٤٢ ، عد ١١ ، ١٢ .

(٦٤) « اشعيا » كذا فى الهامش ، تصحيحا لكلمة « اشعيا » التى درج الناسخ على ذكرها فى صلب الكتاب ، وسنثبتها مصححة كما فى الهامش كلما جاء ذكر ذلك النبى .

(٦٥) نبوة اشعيا ، اصحاح ٢١ ، عد ٧ - ١٠ .

قال المؤلف : فراكب الحمار هو المسيح ، وراكب الجمل هو محمد عليهما السلام ، ولحمد سقطت أصنام بابل . وقال أشعيا مثنيا على رسول الله ﷺ : تفهمي آيتها الأمم ، ان الرب اهاب بى من بعيد ، وذكر اسمى وانا فى الرحم ، وحاطنى بظل يمينه ، وجعلنى كالسهم المختار من كنانته ، وقربنى لسره ، وقال لى : انت عبدى ، فصرفى وعدلى قام الرب ، واعمالى بين يديه ، وصيرت محمدا عند الرب ، فباللهى حولى / وقوتى (٦٦) . وذلك تصريح باسم محمد ﷺ . ١/١٠٢

وقال أشعيا عليه السلام عن الله تعالى : عبدى الذى يرضى نفسى ، أعطيه كلامى فى الأهم عدلى ، ويوصيهم بالوصايا . لا يضحك ولا يصخب ، يفتح العيون العور ، ويسمع الأذان الصم ، ويحيى القلوب الميتة ، وما أعطيه لا أعطيه لأحد . يحمد الله حمدا حديثا ، يأتى من أفضل الأرض فتفرح به البرية وسكانها ، ويوحدون الله على كل شرف ، ويعظمونه على كل رابية . لا يضعف ولا يغلب ، ولا يميل الى الهوى ، ولا / يذل الصالحين الذين هم كالقصب الضعيف ، بل يقوى ١٠٢/ب

الصديقين المتواضعين ، وهو نور الله الذى لا يطفأ ، وأثر سلطانه على كتفه (٦٧) . وقد نص نبى الله أشعيا فى نبوته هذه على اسم رسول الله ﷺ وعلى سيرته وطريقته نصا لا خفاء به على من قضى الله له بالرشاد . وقال أشعيا عليه السلام : قال الله : يا آل ابراهيم الذى قويته ودعوته من أقاصى البلاد ، لا تخف ولا ترهب وأنا معك ، ويدي العزيزة مهدت لك وجعلتك مثل الجرجر الحديد يدق ما يأتى عليه دقا ، ويسحقه / ١٠٣

سحقا ، يجعله هشيما تلوى به هوج الرياح ، وانت تبتهج وترتاح وتكون محمدا (٦٨) .

قال المؤلف : ما أكثر ما نص هذا النبى الجليل القدر على اسم محمد ﷺ .

-
- (٦٦) نبوة أشعيا ، اصحاح ٤٩ ، عد ٥٢ (ب) .
 (٦٧) راجع نبوة أشعيا ، اصحاح ٤٢
 (٦٨) راجع نبوة أشعيا ، اصحاح ٤١ ، عد ٨ - ١٦ ، وليس فيه ذكر محمد .

وقال أشعيا عليه السلام : قال الله تعالى : انى جعلت اسمك
محمدا يا محمد قدوس الرب ، اسمك موجود من الابد (٦٩) . فهل بقى
بعد تصريح أشعيا للزائغ مقال ، او لباغ مجال ؟ فهذا بعض ما فى
١٠٣/ب نبوة أشعيا ، وقد استوعبت ذلك فى كتابنا الكبير /

وقال ميخا النبى فى نبوته ، وذكر الكعبة وحج الناس اليها فى
آخر الزمان : انه يكون فى آخر الايام بيت الرب مبنيا على قلل الجبال
وفى ارفع رؤوس العوالى ، تأتية جميع الامم ، يقولون : تعالوا نطلع
الى جبل الرب (٧٠) .

قال المؤلف : ان زعم اهل الكتاب ان ذلك بيت المقدس قيل لهم :
فالبيت كان فى الزمان الاول ، وانما قال هذا النبى : انه يكون فى
١/١٠٤ آخر الايام ، والا فالبيت المقدس كان معظما فى / زمان ميخا ، والنبى
لا يتنبأ على شىء حاضر معه ، وانما يتنبأ على شىء لم يات بعد .

وقال حبقوق ، وسمى محمدا مرتين فى نبوته : جاء الله من التيمين
والقدس من جبال فاران . لقد اضاءت السماء من بهاء محمد وامثالأت
الأرض من حمده . شعاع منظره مثل النور يحفظ بلده بعزه ، تسير
المنايا امامه ، وتصحب سباع الطير اجناده . قام فمسح الأرض فتضعضت
له الجبال القديمة ، وانخفضت الروابى ، وتزعزعت ستور اهل الأرض .
١٠٤/ب ولقد حاز المدائن القديمة / ، ثم قال حبقوق : ستزغ فى قسيك أعراقا ،
وترتوى السهام بأمرك يا محمد (٧١) . فهذا رحمكم الله ، نبى كريم
قد أعلن باسم رسول الله ﷺ ولم يجمع ، وصرح به مرتين ولم
يغمغم ، فمن حاول صرف ذلك عن رسول الله ﷺ فقد حاول ممتنعا .
وقال ارميا فى نبوته ، وأراد بها محمدا ﷺ : قال الله تعالى :
من قبل ان اصورك عرفتك ، ومن قبل ان تخرج من الرحم قدستك

(٦٩) لم أعر على هذا النص فى نبوة أشعيا .
(٧٠) نبوة ميخا ، اصحاح ٤ ، عد ١ ، ٢
(٧١) نبوة حبقوق ، اصحاح ٣ ، عد ٣ وما بعده ، وليس فيه
ذكر محمد .

وجعلتك / نبيا ، لانك تصدع بكل ما أمرك به • كل من أرسلتك اليه ١/١٠٥
تتوجه وأنا معك • أفرغت كلامي في فمك افراغا • فانظر ، قد سلطتك
اليوم على الأمم والممالك ، لتنسف وتهدم وتبنى وتغرس ما رايت (٧٢) •
قال المؤلف : قول الله في نبوة ارمياء : أفرغت كلامي في فمك
افراغا ، نظير قول الله في التوراة لموسى : انى سأقيم لبنى اسرائيل نبيا
من اخوتهم مثلك ، اجعل كلامي في فيه • فهذه آيات ظاهرة وبشائر
متضافرة ، فسبحان من بخس اليهود والنصارى حظهم من الايمان بها
والتمسك / بأسبابها •

وقال ارمياء عليه السلام مثنيا على أمة محمد ﷺ : أجعل كلامي
في قلوبهم ، وأكون لهم الها ، ويكونون لى شعبا ، ولا يحتاج الرجل
ان يتعلم من غيره ، بل يصير الكل عارفين بى ، صغيرهم وكبيرهم ،
وأنا اغفر ذنوبهم ، ولا أفرعهم بخطاياهم (٧٣) •

قال المؤلف : هذه والله صفة محمد ﷺ ، فما نعلم أمة تقرا كتاب
ربها عن ظهر قلب من الملل كلها سوى هذه الأمة المحمدية • / فاما من ١/١٠٦
عداها فانهم يقرأون من الصحف ، ويسمعون من غيرهم •

وقال دانيال لبختنصر ، وقد قص عليه رؤياه : رايت أيها الملك
صنما عظيما بين يديك قائما ، رأسه من ذهب ، وساعده من الفضة ،
وخطبه وفخذه من النحاس ، وساقاه من الحديد ، ورجلاه من خزف ،
ورايت حجرا لم تقطعه يد انسان قد جاء وصك ذلك الصنم ، فتفتت
وتلاشى وعاد رفاتا ، ثم نسفته الرياح فذهب وتحول ذلك الحجر فصار
جبالا عظيما حتى ملا الأرض كلها • قال بختنصر / : فما تأويل ذلك ؟ ١/١٠٦ ب
قال دانيال : انت أيها الملك الرأس الذى رايت من ذهب ، وسيقوم بعدك
ولداك اللذان رايت من الفضة ، وهما دونك ، وتقوم بعدهما مملكة
أخرى ، هى دونها ، وهى التى تشبه النحاس ، والمملكة الرابعة تكون

(٧٢) نبوة ارمياء ، اصحاح ١ ، عد ١ - ٥
(٧٣) لم اعثر على هذا النص في نبوة ارمياء •

قوية مثل الحديد الذى يدق كل شيء ، والمملكة التى بعدها تكون ضعيفة
مثل الخزف ، وتكون كلمتها مشتتة . وأما الحجر الذى رأيته قد صك
١/١٠٧ الصنم ففتته ، فهو نبي يقيمه الله ، اله السماء والأرض ، فى آخر /
الزمان من قبيلة شريفة قوية ، فيدق ملوك الأرض واممها حتى تمتلأ
الأرض من أمته ، ويدوم سلطان ذلك النبي الى انقضاء الدنيا (٧٤) .

قال المؤلف : فقد شهد دانيال النبي عليه السلام بأن محمدا ﷺ
هو خاتم الأنبياء ، وإن دولته خاتمة الدول ، وصدق بنبوته هذه ما تقدم
من النبوات .

وقال دانيال أيضا فى نبوته : سألت الله وتضرعت اليه أن يبين لى
١/١٠٧ ب ما يكون من بنى اسرائيل ، وهل يتوب عليهم / ويرد عليهم ملكهم ،
ويبعث فيهم الأنبياء ، أم يجعل ذلك فى غيرهم ؟ قال دانيال : فظهر لى
الملك فى صورة شاب حسن الوجه فقال : السلام عليك يا دانيال ،
ان الله يقول : ان بنى اسرائيل عصونى وتمردوا على ، وعبدوا من
دونى آلهة أخرى ، وصاروا من بعد العلم الى الجهل ، ومن بعد الصدق
الى الكذب ، فسلط الله عليهم بختنصر ، فقتل رجالهم وسبى ذراريهم ،
١/١٠٨ وهدم بيت مقدسهم ، وحرق كتبهم ، وكذلك فعل من بعده / بهم ،
وأنا غير راض عنهم ، ولا يزالون فى سخطى حتى أبعث مسيحى ،
ابن العذراء البتول ، فأختم عليهم عند ذلك باللعن والسخط ، فلا يزالون
ملعونين ، عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث من بنى اسماعيل الذى بشرت
به هاجر ، فأرسلت اليها ملائكتى فبشروها به فأوحى الى ذلك النبي ،
واعلمه السيمياء ، وأزينه بالتقوى ، وأجعل البر شعاره ، والتقوى
ضميره ، والصدق قوله ، والوفاء طبيعته ، والقصد سيرته ، والرشد
نسبته ، وأخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتاب ، وأسرى به
١/١٠٨ ب الى ، وأرقه من سماء / الى سماء حتى يعلو ، وأدنيه وأسلم عليه ،

وأوحى اليه ثم ارده الى عبادى ، حافظا لما استودع ، صادعا بما
أمر ، يدعو الى توحيدى باللين من القول والموعظة الحسنة ، لا فظ
ولا غليظ ولا صخاب فى الأسواق ، رؤوف بمن وآلاه ، رحيم بمن آمن
به ، خشن على من عاداه (٧٥) .

قال المؤلف : ثم سرد (٧٦) قصة رسول الله ﷺ وشأنه وشان
أمته من بعده الى قيام القيامة ، ﷺ . وهذا الكتاب فى يد اليهود
والنصارى بقراونه ، وفيه ما ذكرنا / من صفته ﷺ ، ولكن الحسد ١/١٠٩
وفساد المربى صارفان عن السعادة ، وصادفان عن النجاة .

(٧٥) لم أعتز على هذا النص فى نبوة دانيال .
(٧٦) « ثم سرد » كلام من المؤلف يريد به : ثم سرد دانيال فى
نبوته ... الخ .

بشائر الانجيل

قال يوحنا : قال المسيح : ان الفارقليط ، روح الحق الذى ارسله
ابى ، هو يعلمكم كل شىء (١) . وقال يوحنا ايضا : قال المسيح : ان كنتم
تحبون الله فاحفظوا وصاياى وانا اطلب من الاب ان يعطيكم فارقليطا
. آخر ، يبيت معكم الى الابد (٢) . وقال يوحنا ايضا : اذا جاء الفارقليط
الذى يرسله ابى هو يشهد / لى (٣) . وقال يوحنا ايضا : قال المسيح :
١٠٩/ب ان خيرا لكم ان انطلق ، فانى ان لم اذهب لم ياتكم الفارقليط ، فاذا
جاء فهو يوبخ العالم على الخطيئة (٤) .

قال المؤلف : اختلف فى تفسير لفظة الفارقليط على اربعة اقوال ،
ف قيل : الحامد ، وقيل : الحماد ، وقيل : المعز ، وقيل : المخلص ،
وتلك صفات محمد ﷺ فهو الحامد والحماد والمعز (٥) لدين الله
والمخلص من دركات النيران . قال رسول الله ﷺ : « انا آخذ بحجزكم
١/١١٠ وانتم تقحمون فى النار » . وهو روح الحق الذى ارسله الله ، وعلم /
الناس كل شىء يحتاجون اليه من امر دينهم ودنياهم ، وهو النبى الذى
ثبت شرعه الى الابد .

وقال يوحنا : قالت امرأة من اولاد يعقوب للمسيح : ياسيدنا ،
اباؤنا سجدوا فى هذا الجبل وانتم تزعمون انه اورشليم ؟ فقال لها

(١) يوحنا ، اصحاح ١٤ ، عد ٢٦

(٢) يوحنا ، اصحاح ١٤ ، عد ١٦

(٣) يوحنا ، اصحاح ١٥ ، عد ٢٦

(٤) يوحنا ، اصحاح ١٦ ، عد ٧ ، ٨

(٥) تفسير « الفارقليط » بالمعز هو تفسير انفرد به المؤلف ، والذى
ذهب اليه غيره ان معنى الفارقليط هو المعزى ، فلعل المؤلف قد نقل
كلمة « المعزى » محرفة من كتاب آخر ، فاضطر الى تأويلها على
النحو المذكور .

المسيح : ياهذه آمتى ، فانه ستاتى ساعة لا فى هذا الجبل ولا فى اورشليم يسجدون للاب(٦) .

قال المؤلف : هذا المسيح عليه السلام ينوه بأمر الكعبة ، ويشهد بأن السجود الى جهتها سجد لله ، وان / التوجه اليها ناسخ لما عداه . ١١٠/ب وقال المسيح فى الانجيل لمن حضره : الحق اقول لكم : انه سيأتى قوم من المشرق والمغرب فيتكئون مع ابراهيم واسحاق ويعقوب ويخرج بنو الملوك الى الظلمة البرانية ، هنالك يكون البكاء وصري الاسنان(٧) .

قال المؤلف : ذلك من المسيح تنصيص على هذا النبى [وأصحابه] (٨) ، فهم الذين جاءوا من المشرق والمغرب ، وقد قال الله فيهم : « ان أولى الناس بابراهيم للذين اتبعوه وهذا / النبى والذين ١/١١ آمنوا ، والله ولى المؤمنين » (٩) .

وقال متى التلميذ : قال المسيح : ان ايلياء يأتى ويعلمكم كل شىء(١٠) ، ولم يأت من علم الناس كل شىء الا رسول الله ﷺ . وايلياء عندهم هو النبى كائنا من كان . وقال يوحنا التلميذ : قال المسيح : ان اركون العالم سيأتى ، وليس الى شىء(١١) .

قال المؤلف : الأركون هو العظيم القدر ، وهو الفارقليط المقدم ذكره . يشير المسيح عليه السلام الى / أن مجىء رسول الله ﷺ ١١/ب لم يدع لغيره من الأنبياء شرعا الا نسخته شريعته .

(٦) يوحنا ، اصحاح ٤ ، عد ١٩ ، ٢٠

(٧) متى ، اصحاح ٨ ، عد ١١ ، ١٢

(٨) « وأصحابه » ليست فى الأصل ، وقد أضفناها لأن السياق يقتضيها . (٩) آل عمران : ٦٨

(١٠) راجع متى ، اصحاح ١١ ، عد ١٤ ، ومتى ، اصحاح

١٧ ، عد ١١

(١١) لم اعثر على هذا النص .

وقال متى التلميذ : قال المسيح : ألم تقرأوا ان الحجر المتروك صار رأسا للزاوية ، من عند الله كان هذا وهو عجيب عندنا ، وكذلك اقول لكم : ان ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع الى امة اخرى تاكل ثمرتها ، ومن سقط على هذا الحجر فيشدخ ، وكل من سقط هو عليه هو يمحقه (١٢) .

١/١١٢ قال المؤلف : ليت شعري ، من هي هذه الامة التي دفع اليها / ملكوت الله فاكلت ثمرتها بعد المسيح غير امة محمد ﷺ ؟ ومن هذا الذي كل من غزاة انشدخ ، وكل من تولى هو غزوه وقتاله محقه واباده سوى هذ النبي وامته ؟ وان زعم النصارى ان المراد بذلك المسيح ، قلنا : ما هكذا اخبرتمونا عن مسيحكم ، بل الذي حكيم لنا ان شرذمة من خبساس اليهود وقعوا على المذكور فشدخوه ، ثم قتلوه شر قتلة وصلبوه ، وقد ثبتت نبوة سيدنا محمد ﷺ بالقواطع الدامغة والحجج المقبولة ١١٢/ب البالغة ، وأوضحنا ذلك بدليل من التوراة / والنبوات والانجيل ، ولم يعدل ذلك عن المنهج القويم ، والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم .

فان قيل : قد حذرنا المسيح من الأنبياء الكذبة الذين يلبسون لباس الخراف وهم فى الباطن بصور الذئاب الضارية ، ثم وصفهم فقال : ومن قبل ثمارهم تعرفونهم . قلنا : هذا تصريح من المسيح عليه السلام بمجىء نبي صادق ، اذ خص التحذير بالكذبة ، الا تراه كيف جعل ثمارهم وما يدعون اليه اشارة على صحة امرهم . ولو كان الامر على ما توهمه / مورد السؤال لقال : لا نبي بعدى ، ولم يحوجهم للاستدلال بثمارهم على كذبهم ، والا فقد نص على مجىء النبي الصادق فى انجيله ، كما حكيناه . ثم الكاذب من لم يقم على نبوته دليل ، وجاء محمد ﷺ بالأدلة المقبولة ، والمعجزات التي هى بلسان التواتر مقبولة ، كانشقاق القمر ، وتسليم الحجر ، واستجابة الشجر ، وتطهير الأبرص والمجنون ، وازالة الأجرة والجنون ، وكلام الذراع ، وخسف

(١٢) متى ، اصحاح ٢١ ، عد ٤٢ ، ٤٣

الأرض بعدوه عند الاتباع ، وتفجير الصلبد بالساء ، ونطق العجماء ،
والاخبار / عن الغيوب ، وعلم ما اشتملت عليه خبايا القلوب ، والنصر ١١٣/ب
فى الحروب .

وقال المسيح عليه السلام : من قبل ثمارهم تعرفونهم (١٣) .
وقد علم المخالف والموالف أن محمدا ﷺ لم تثمر شجرته عبادة غير الله ،
ولم يشرك مع الله غيره ، ولا جعل له ندا من خلقه ولا ولدا ، ولا قال
لأمتة اعبدوا الهين اثنين ولا ثالث ثلاثة ، ولا عبد رجلا ولا عجلا ولا كوكبا ،
بل دعا الى عبادة اله ابراهيم ، اله واحد ، لا اله الا هو ، وأخلص لله
وحده ، ونزله / عن النقائص والآفات ، والحنول فى المحدثات ، ١١٤/أ
وجاء بكتاب من عند الله أمر فيه بطاعة الله ، ونهى عن معصيته ،
وزهد فى الدنيا ورغب فى الأخرى ، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر ،
والمر ببر الوالدين ، وصلة الرحم ، وحفظ الجار ، وفرض الصدقات ،
وأمر بالصوم والصلاة ، وحث على مكارم الأخلاق ، ومحاسن العادات ،
ثم كسر الأصنام ، وعطل الأوثان ، واخذ النيران ، وأعلن بالآذان .
فهذه ثمار سيدنا ونبينا محمد عليه أفضل الصلاة والسلام ، / التى صارت ١١٤/ب
أعلق به من الغرام ببني عذرة ، والاقدام بابن أبى صفرة . والأمر فى
ذلك مستغن عن كثرة الاستدلال ، وأوضح من أن يعلن ويقال . والله
المسؤول المحمود أن يجعل لوجهه بذل هذا المجهود ، ويجزل أجرنا من
كل خير مقصود ، ويحشرنا فى زمرة صاحب اللواء المعقود ، ويوردنا
حوضه المورود ، انه غفور حلیم ودود .

« تم الكتاب بحمد الله وعونه وحسن توقيقه »

أهم المراجع

أولا - مراجع عامة :

١ - القرآن الكريم .

٢ - الكتاب المقدس (العهد القديم) .

٣ - الكتاب المقدس (العهد الجديد) .

٤ - بروكلمان .

Brockellman : *Geschicht der arabischen litterature.*

٥ - جراف :

Graf : *Geschicht der christichen arabischen litterature.*

٦ - حاجى خليفة : كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون .

Dictionnaire Encyclopédique de la Bible

- ٧

ثانيا - مراجع خاصة :

١ - آدم ميمز : الحضارة الاسلامية فى القرن الرابع الهجرى ،
جزءان ، ترجمة الدكتور محمد عبد الهادى أبو ريدة ، القاهرة .

٢ - ابن تيمية : الجواب الصحيح لمن بدل دين المسيح ، ٤ أجزاء
فى مجلدين ، القاهرة ، ١٩٠٥ م .

٣ - ابن حزم : الفصل فى الملل والأهواء والنحل ، ٥ أجزاء فى
فى مجلدين ، القاهرة ، ١٨٧٣ م .

٤ - أبو عيسى الوراق : كتاب الرد على فرق النصارى ، تحقيق ونشر
(A. Abel) مع ترجمة الى الفرنسية ، بروكسل ، ١٩٤٩ م .

٥ - أبو القاسم بن ابراهيم : كتاب الرد على النصارى ، تحقيق ونشر
(Mattéo) مع ترجمة الى الايطالية ، روما ، ١٩٢٢ م .

٦ - الباجه جى زاده : الفارق بين المخلوق والخالق ، القاهرة : ١٣١٢ هـ .

٧ - الباقلانى (ابو بكر) : الفرق بين المعجزات والكرامات تحقيق ونشر : مكارتي ، بيروت : ١٩٥٨ م .

٨ - الجاحظ (ابو عثمان) : رسالة فى الرد على النصارى ، تحقيق ونشر فنكل ، الطبعة الثانية ، القاهرة : ١٣٨٢ هـ .

٩ - الجوينى (امام الحرمين) : شفاء العليل فيمن حرف الانجيل ، تحقيق ونشر : بيروت : ١٩٦٨ م .

١٠ - الدكتور صبحى الصالح وفريد جبر : فلسفة الفكر الدينى بين الاسلام والمسيحية ، ٣ اجزاء ، بيروت : ١٩٦٧ م . (منقول عن الفرنسية) .

١١ - الشيخ عبد الوهاب النجار : قصص الانبياء ، الطبعة الثالثة ، القاهرة : ١٩٥٣ م .

١٢ - الغزالى (ابو حامد) : الرد الجميل لالهية عيسى بصريح الانجيل ، تحقيق ونشر روبرت شيدياق ، مع ترجمة فرنسية بيروت : ١٩٣٢ م .

١٣ - عشر مسائل موجهة ضد المسيحيين . لأبى البقاء صالح بن الحسين الجعفرى مقالة بالالمانية : بون : ١٨٩٧ م .

١٤ - القرافى (شهاب الدين بن ادريس) : الأجوبة الفاخرة ، منشور بهامش كتاب : الفارق بين المخلوق والخالق .

١٥ - M. Beuoir : le Judaisme et le christianisme antique, - Paris : 1968 .

١٦ - محيى الدين الأصفهاني : رسالة اصدق الحديث فى شرفى التوحيد والتثليث ، تحقيق ونشر مع ترجمة بالفرنسية :

A. Allord et J. Teoyeau , Bayeoulh , 1969.

١٢٩

(٩ - الرد على النصارى)

Paul Kouey : Paul d ' Antioche ; évêque de sydon : ١٧ -
Bayeoulh : 1965.

ثالثا - مخطوطات :

- ١ - الواضح المشهود فى فضائح النصارى واليهود ، مخطوط
المتحف البريطانى رقم ١٦٦١٦
- ٢ - تخجيل من حرف الانجيل ، الجزء الأول ، مكتبة رئيس
الكتاب باستانبول ، للجعفرى .
- ٣ - تخجيل من حرف الانجيل ، الجزء الثانى ، مكتبة داماد
ابراهيم ، استانبول ، للجعفرى .
- ٤ - الأقوال القديمة فى حكم النقل من الكتب القديمة للقراوى :
دار الكتب المصرية .

محتويات الكتاب

الصفحة

المقدمة	٣
- المخطوط	٥
- المؤلف	١١
(ا) شخصيته	١١
(ب) سبب تأليفه الكتاب	١٥
(ج) مصادره	١٧
- الجدل الاسلامي / المسيحي ومناهجه	٢٣
(ا) الجدل	٢٣
(ب) منهج الجدل	٢٦
- تحليل النص	٣٩
- خاتمة	٥٢
المسألة الاولى : فى الرد على من زعم ان المسيح عيسى ابن الله	٥٧
المسألة الثانية : فى ابطال الاتحاد	٦٥
المسألة الثالثة : فى ابطال دعوى القتل والصلب	٧١
المسألة الرابعة : فى ابطال دعوى الثلاث	٧٧
المسألة الخامسة : فى بيان تناقض الانجيل الذى بايدى النصارى	
يومنا هذا	٨٠
المسألة السادسة : فى اثبات نبوة المسيح عليه السلام	٨٧
المسألة السابعة : فى اثبات نبوة سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم	٩٥
بشائر الانجيل	١٢٤
اهم المراجع	١٢٨
محتويات الكتاب	١٣١

رقم الايداع بدار الكتب ٨٨/٥٨٧٦
الترقيم الدولي ٦ - ١٥٩ - ٣٠٧ - ٩٧٧

دار التوقيف النسخية
للطباعة والجمعيات
الأنظمة ٣ مبيعات الموصلة
بجودة مائة المائة

تليفون ٩٢٥٣٠٤ القاهرة

